مجلة المجمع العلمي

مجلة المجمع العلمي

فصلية محكمة أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

المجلد الثالث ــ المجلد الواحد والستون

١٤٣٥هـ - ٢٠١٤م

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

فَعَالِيَّةُ اللُّغَةِ!
وَصَنْعَةُ زهيرِ بنِ أَبي سُلمى
في مُعَلَّقَتِهِ

الدكتور طارق امين ساجر الرفاعي
كلية الآداب – الجامعة العراقية

الملخص :
١- بعد تحليلي بردة كعب بن زهير موضوعيا وبلاغيا تبين أن الصنعة فيها تفوق أضعافا صنعة أبي تمام المشهور بالصنعة عند تحليلي لقصيدته فتح عمورية ، مع ان كعبا لم يشتهر بالصنعة ، فلفت ذلك انتباهي إلى ان تلك الصنعة تشاطر اللغة فيها الاديب ، فشطر منها الشأن فيه للبليغ والشطر الآخر يعود إلى قدرة اللغة في إحكام تراكيبها وسعة دلالاتها وتنوع مفرداتها ، وتبين ذلك من الفارق الكبير بين انواع وعدد أوجه البلاغة بين القصيدتين ، وتتميز اللغة العربية في ذلك على باقي اللغات ، فطرحت لذلك أسئلة في نهاية البحث على أهل الاختصاص عن النص البليغ المتميّز شعرا أو نثرا: هل ان ذلك يعود إلى البليغ البارع فحسب ؛ أم ان اللغة تشاطره تلك القدرة ؟ وما علاقة ذلك بالطبع والصنعة ؟ وما هي معايير ومنهجية شعراء الجاهلية في صنعتهم؟.
٢- وعلى ضوء ذلك قمت بتحليل معلقة زهير في هذه السلسلة باعتباره امام الصنعة في العصر الجاهلي ؛ فتبين أنه أكبر صنعة من ولده كعب ومن أبي تمام ؛ على الرغم من بعده عن الكلفة في التصنيع التي يتعهدها ويوغل فيها أبو تمام ، وذكرنا أن هناك من صنوف البلاغة ما تعمده عند النظم ، والقسم الآخر ما تعهدته اللغة ؛ مما يدل على مشاطرتها للأديب في انشاء النص المتميز ؛ ويؤكد فعاليتها في هذا المجال ، وأوردنا في آخر البحث حقائق تؤكد على أن هناك معايير ومنهجية لدى النخب المثقفة في العصر الجاهلي يتداولونها عند انشاء النصوص المتميزة كالمعلقات مثلا ؛ أو عند نقدها وبيان أوجه القوة والضعف فيها.

المقدمـــة :

في خاتمة بحثي السابق الموسوم (أهو الطبع والصنعة ؟ ام فعّالية اللغة ؟ ! في بردة كعب بن زهير)[*] طرحت أسئلة على الباحثين في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث ، إذ تبين بعد المقارنة بينه وبين نتائج البحث الذي سبقه الموسوم (من الأوجه البلاغية في قصيدة فتح عمورية)[**] أن الصنعة عند كعب بن زهير كانت أكثر زخما وإفراطا من أبي تمام على الرغم من غلبة الطبع عنده ؛ فكانت الأسئلة :

١- أإن الشأن لعظمة هذه اللغة ؛ بسبب وفرة مفرداتها ؛ ومرونة تراكيبها وإحكامها وسعة دلالاتها ؛ وقدرتها على مواكبة الأديب ورفده على مقدار طاقاته وإبداعاته ؛ وإن غالب هذه الأوجه البلاغية يأتي طوعا من غير قصد منه ؟

٢- ام إن الشان للاديب البليغ الذي يكيّف اللغة ويطوّعها ويثّقفها ويتنخّل مفرداتها على وفق براعاته ومؤهلاته وأذواقه وسعة أُفقه وحدة ذكائه ...؟

٣- وما علاقة ذلك كله بالطبع والصنعة عند فحول شعراء الجاهلية وصنوهم من المولّدين ؟

٤- وما هي معايير شعراء الجاهلية المتوقعة لتلك الصنعة ؟

ووعدنا بمزيد من البحوث في هذا المضمار لهذه المدرسة الجاهلية لتسليط مزيدا من الضوء عليها خدمة للمعرفة ولغة القرآن الكريم وها نحن نشرع بالبحث الجديد على هذا المنوال ونحلل معلقة زهير بن أبي سلمى

---

[*] نشر في مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد العدد (١٠٧) لسنة ٢٠١٤.

[**] نشر في مجلة مداد الآداب كلية الآداب – الجامعة العراقية العدد (٨) لسنة ٢٠١٤ .
علما قام منسق المجلة بنقل تسلسل (١) لبيت المطلع وجعله للبيت الثاني وترك المطلع من غير تسلسل ، وبذلك أخلّ في كافة تسلسلات الابيات واحدث الخلاف بينها وبين محتوى الملحق الخاص بجرد صنوف البلاغة فيها .

أستاذ الصنعة الجاهلي ، موضوعيا وبلاغيا لتزداد الفكرة وضوحا في ضوء النتائج التي سنتوصل إليها .

اعتمدت أربعة مصادر لبحث هذه المعلقة وهي :

١- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) ورمزت إليها بالحرف (أ) .

٢- أشعار الشعراء الستة الجاهليين ليوسف بن سليمان بن عيسى الأندلسي المعروف بالأعلم الشنتمري (ت ٤٧٦ هـ) ورمزت إليها بالحرف (ب) .

٣- شرح المعلقات السبع للقاضي أبي عبدالله الحسين بن أحمد الزوزني (ت ٤٨٦ هـ) ورمزت إليها بالحرف (جـ) .

٤- شرح القصائد العشر للخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) ورزمت إليها بالحرف (د).

اخترت الأبيات المذكورة في (أ ، د) لقدم الأولى ولتوافق الاخيرة معها في الغالب ، وأشرت في الحاشية الى ما خالفهما في (ب ، ج) وحرصت على إعطاء المعنى العام ؛ ومعاني المفردات غير المألوفة ؛ من خلال هذه الشروح مصادر البحث ، وبذلت الجهد للتحري عن أوجه البلاغة من المعاني والبيان والبديع ما امكنني ذلك ؛ سوى ما يتعلق بالخبر والانشاء لإمكان تحديد ذلك من العموم ولتقليص مجال البحث ؛ كذلك تركت ذكر تعاريف الأوجه البلاغية خلافا ما تعودت عليه في البحوث السابقة ؛ إذ يمكن للباحث ان يستفيد مما ذكرته فيها ؛ او الرجوع الى كتب البلاغة للتعرف عليها .

أما سبب نظم زهير بن أبي سلمى معلقته ؛ فانه كان في مدح الحارث بن عوف وهرم بن سنان وقيل خارجة بن سنان اللذين دخلا في الصلح بين عبس وذبيان في الحرب بينهما التي أنهكتهما وتحمّلا ديّات القتلى من الطرفين فتوافقا وأقسما على الصلح .

إنّ هذه القصيدة من البحر الطويل الذي يتميز بسعته وكثرة استعماله ودورانه في أشعار العرب ؛ وذكر له حازم القرطاجنّي أوصافا متعددة إذ يقول في موضع : ((أوزان الشعر منها متناسب تام التناسب متركّب التناسب متقابله متضاعفه وذلك كالطويل والبسيط – ثمّ وضّح هذهِ المصطلحات وأضاف – فالأعاريض التي بهذهِ الصفة هي الكاملة الفاضلة))[1] ... ثم يواصل شغفه بالبحر الطويل والبسيط فيقول : ((فالعروض الطويل تجد فيه أبدًا بهاء وقوة وتجد للبسيط سباطة وطلاوة))[2] ونقل الشيخ جلال الحنفي ما ورد في كتاب تبسيط العروض لنور الدين صمّود قوله : ((ويقال إن العرب كانت تسمي الطويل الرّكوب لكثرة ما كانوا يركبونه في أشعارهم))[3] ونقل عن صفاء الدين خلوصي قوله : ((ومن محسنات الطويل أنه تام لا يكون مجزوءا ولا مشطورا ولا منهوكا ... وهذا سبب تسميته بالطويل))[4] وذكر ما ورد عن الحنفاوي في حواشيه على شرح الخزرجية قوله :

---

[1] منهاج البلغاء : ٢٥٩.

[2] ينظر منهاج البلغاء : ٢٦٨ – ٢٦٩.

[3] العروض تهذيب واعادة تدوينه : ١٤٣.

[4] العروض تهذيب واعادة تدوينه : ١٥٥.

((والطويل والبسيط اللّذين هما أشرف من سائر البحور لطولهما وحسن ذوقهما وكثرة دورهما في أشعار العرب))[٥] .

اما وزنة فهو :

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

ان نوع قافية القصيدة هو (المتدارك) لتوالي حركتين فيها ، أما رويها فهو (الميم) المكسورة فالقصيدة ميمية التي يستهلها بقوله :

١- أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ بِحَوْمَانَةِ الدُّرَّاجِ فَالمُتَثَلَّمِ[٦]

المعنى :

في عبارة البيت الحذف والتقدير : أمن دمن أم أوفى دمنة ....، والدمنة آثار الناس وما سوّدوا بالرماد وغيره ... ، لم تكلّم اي : لم تبن ، وقيل المراد لم يتكلم أهلها ، بحومانة وهي المكان الغليظ المنقاد وقيل القطعة من الرمل ، والدراج والمتثلّم موضعان بالعالية منقادان ، فقد جرّد الشاعر من نفسه شخصا يسائله بقوله : لماذا ولا أثر من هذه الآثار في الدرّاج والمتثلّم وهي منازل الحبيبة أم أوفى لم تكلّمه أو تجبه عن مصيرها او مصير أهلها وماذا جرى لهم ، وفي ذلك نعي لفقد أهلها يبعث على الحسرة والألم والحزن

---

[٥] العروض تهذيب واعادة تدوينه : ١٦٤ .

[٦] ورد في (ب ، جـ ، د) الدَّراج فالمتثلّم ،

الدمنة : اثار الناس او البعر والسرجين ، الحومانة ، : المكان الغليظ المنقاد او القطعه من الرمل ، الدراج والمتثلّم : موضعان بالعالية .

ولم يخص هذين الموضعين إلاّ لما لهما من خصوصية تميّز ساكنيها في ذلك الزمان .

وفي البيت (التجريد) إذ جرد الشاعر من نفسه شخصا يخاطبه . وفيه (التصريع) بقوله : (لم تكلم، فالمتكلّم) . و(الحذف) في قوله : (أمن أم أوفى) للمضاف فالأصل : أمن دمن أم اوفى دمنة . و (التخصيص) بتقديم الجار والمجرور ، وتقديم ماله الصدارة وهنا الاستفهام بقوله : (أمن ..) و (بحومانة) . وفيه (الجمع) بقوله : (بحومانة ثم جمع موضعي الدراج فالمتكلّم) وربما قصد في قوله : (بحومانة الخ) الاشارة الى شرف الأماكن (كناية) على شرف مكانة أهل الحبيبة . وفيه (التقييد) بالنفي في قوله : (لم تكلم) .

٢- ديارٌ لَهَا بِالرَّقْمَتَيْنِ كَأَنَّهَا مَرَاجِعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ[٧]

المعنى :

البيت وصف للموضعين في البيت قبله ، بان فيهما ديار لتلك الحبيبة عامرة بأهلها بالرقمتين احداهما قرب المدينة والاخرى قرب البصرة ، [٨] وانهما في ظهورهما وجمالهما كالوشم الذي أعيد ورُجّع في

---

[٧] ورد في (ب ، جـ) ودار ، وورد في (ب ، جـ ، د) مراجيع . الرقمتان : موضعان ، مراجع : اعادة عمله ، وشم : ان يثقب ظاهر الذراع بابرة ونحوها ثم يحشى بالكحل والنؤور ليخضرّ ، النواشر : عصب الذراع من ظاهرها وباطنها ، معصم : موضع السوار أسفل الرسغ .

[٨] ينظر (أ) : ٢٣٨ و (د) : ١٠٣ ، ما ورد عن الاصمعي .

عصب الذراع من باطنها وظاهرها ليكون أشدّ وضوحا وأكثر نصوعا وجمالا .

وفيه (التشبيه المركب) إذ شبّه ديار الحبيبة الموضعين المشهورين المذكورين في ظهورهما وبروزهما ، بالوشم البارز الناصع الجميل المغروز في الأذرع البيض فيزيدها جمالا – المشبه به – ووجه الشبه منتزع من متعدد . وفي بروز تلك الديار ووضوحها لارتفاع بنائها (كناية) عن كرم أهلها وعلوّ منزلتهم . وفيه (التقييد) بالنواسخ في قوله (كأنها) .

٣- بِهَا الْعِيْنُ والآرَامُ يَمْشِينَ خِلْفَةً وَأَطْلاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثِمِ[٩]

المعنى :

الضمير في (بها) عائد الى ديار الحبيبة ، اي ان ديارها لسعة أرزاقها وكثرة نباتها تكثر فيها البقر والظباء وانها لكثرتها تختلف امام الناظرين فهذه مقبلة وتلك مدبرة وهذه صاعدة وتلك نازلة ، واما أولادهن فينهضن لأجل الارضاع الى أمهاتهن من كل مكان كن يقمن فيه لكثرتهن .

وفي البيت (التخصيص) بتقديم الجار والمجرور بقوله : (بها) . و (المجاز المرسل) في قوله : (العِيْنُ) إذ عبر بها عن البقر لسعة عينها ، فتجوَّز بلفظ البعض عن الكل . و (الجمع) في قوله : (يمشين

---

[٩] ورد في (جـ ، د) : والارءام .

العين : البقرة لسعة عينها ، الآرام : ظباء بيض خوالص البياض ، خلفة : مختلفات ، اطلاؤها : اولادها الواحد طلا وهو من ساعة يولد الى نصف شهر ، مجثم : الموضع الذي يجثم فيه اي يقام فيه .

خلفه) بالنسبة للعِين والآرام . و (الوصل) بقوله : (وأطلاءها...) . وفي قوله : (بها .... خلفة) (كناية) عن الخصب ووفرة النبات ، لدوام ظهور البقر والظباء للعيان لكثرتها . وفي قوله : (وأطلاؤها .... مجثم) (كناية) عن كثرتها وبركتها فهي تأتي من كل مكان للإرضاع . وفيه (التقييد) بالنعت بقوله : (العين) والعطف بقوله : (والآرام وأطلاؤها) .

٤- وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عِشْرِينَ حِجَّةً فَلأيًا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ[١٠]

المعنى :

وقفت بدار الحبيبة أتأمل من بعد عشرين سنة ، وعرفتها بعد إبطاء وجهد وعسر ، بسبب درس رسومها وغلبة الوهم حتى أشكلت علي .

وفي البيت (التقديم والتأخير) في قوله : (فلأيا عرفت الدار) بتقديم الحال لأيا على قوله : عرفت الدار ، وفي العبارة (الحذف) أي : فبعد لأي عرفت الدار . و (المطابقة) في قوله : (عرفت ، توهم) . وفيه (التفريع) في قوله : (بعد توهم) إذ فرّع من معاناته حتى عرف الدار ؛ معاناته في توهمه حتى أشكلت عليه .

٥- أَثَافِيَّ سُفْعًا فِي مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ وَنُؤْيًا كَجِذْمِ الحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّمِ[١١]

---

[١٠] الحجة : السنة ، فلأيا : بعد إبطاء وجهد وعسر .

[١١] أثافي : واحدتها أثفيّة : وهي الحجارة التي تحمل عليها القدر ، السفع : السود ، المعرس : الموضع الذي يكون فيه المرجل ، المرجل : كل قدر يطبخ فيها من حجارة او حديد أو خزف ، النؤى : حاجز يجعل حول الخباء يمنع من السيل ، جذم الحوض : بقيته ، لم يتثلّم : ذهب أعلاه ولم يتثلّم باقيه .

المعنى :

أثافي منصوب بـ (عرفت) في البيت قبله ، وهنا يصف ما بقي من الدار بانه حجارات سود التي ينصب عليها القدر في موضع القدور ، وبفايا حاجز يرفع حول البيت من تراب من الخارج لئلا يدخل الماء عليه ، وهو كبقية حوض قد ذهب أعلاه ولم يتثلّم باقيه . وبذلك يكون قد أنجز وصفا دقيقا لما بقي من رسوم أطلال الحبيبة .

وفي البيت (تشبيه المفرد بالمركب) فالمشبّه قوله : (نؤيا) ، والمشبّه به قوله : (كجذم الحوض لم يتثلّم) ووجه الشبه منتزع من متعدد . وفيه (التقييد) بالنعت في قوله : (سفعا) ، والعطف في قوله : (ونؤيا) والنفي في قوله : (لم يتثلّم) . ويتصف البيت بـ (ائتلاف اللفظ مع المعنى) وهو تناسب دلالات الألفاظ فيه للمعاني . [١٢]

٦ - فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا أَلاَ انْعَمْ صَبَاحا أَيُّهَا الرَّبْعُ وَاسْلَمِ[١٣]

المعنى :

بعد التأكد من رسوم الدار ومعرفة انها دار الحبيبة ، جرد من أهلها أناسا يخاطبهم بقوله : عسى أن تكونوا في صباح نعمة وسرور وسلامة ، إذ إنه عند مخاطبة الربع كان المقصود أهلها ومنهم الحبيبة .

---

[١٢] ينظر خزانة الادب للحموي : ٨٧٦ .

[١٣] ورد في (جـ ، د) (انعِم) .

الربع : المنزل في الربيع ثم كثر استعماله قيل لكل منزل ، الا انعم : كن في نعمة.

وفي البيت (التجريد) إذ جرَّد من ساكني الطلل سابقا أُناسا يكلمهم بمخاطبته لما بقي من منزلهم والمقصود أهلها بقوله : (قلت لربعها .... الخ البيت) . (والاستتباع) بقوله : (واسلم) . و(التكرار) بقوله : (لربعها ، الربع) بقصد النسيب والشغف بأهلها . (والتقيد) بالعطف بقوله : (واسلم). و(الإلتفات) من الغيبة الى التكلم بقوله : (فلما عرفت .... قلت...) .

٧- **تَبَصَّرْ خَلِيْلِي هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِنٍ تَحَمَّلْنَ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمِ**[١٤]

المعنى :

يحث خليله للنظر حوله كونه مشغولا بالبكاء على أطلال الحبيبة ، بقوله : أنظر هل ترى نساء في هوادجهن تسير في أطراف موقع الماء أو أعلى منه لعل الحبيبة تكون احداهن .

وفي البيت (الالتفات) من التكلم الى الخطاب بقوله : (تبصر ...). وفيه (تجاهل العارف) للتظاهر بالحرص على لقاء الحبيبة التي لا يرى الاّ آثارها ولا يراها ؛ فيحث الاخرين الى التبصّر معه بقوله : (تبصر ...) آملا على الرغم من اليأس أن يقول له أحدهم هاهي !. و (تخلص) بقوله : (تبصر خليلي) من الوقوف على الاطلال الى وصف الرحلة ببعض شطر البيت بلطف وسلاسة وهو الغاية عند علماء الأدب .

---

[١٤] ظعائن : جمع ظعينة وهي المرأة في هودجها ، العلياء : موضع او ما ارتفع من الارض ، جرثم : ماءة من مياه بني اسد .

٨- جَعَلْنَ القَنَانَ عَنْ يَمِينٍ وَحَزْنَـهُ وكَمْ بِالقَنَانِ مِنْ مُحِلٍّ وَمُحْرِمِ[١٥]

المعنى :

تلك الظعائن جعلن جبل القنان الذي فيه الماء وهو لبني اسد في مسيرها عن يمين هو وحزنه ، وهذا القنان يكثر فيه من لا ذمّة له ولا عهد ، وفيه من يحفظ الحرمة والعهد ، وفي ذلك إشارة الى المخاطر التي قد تتعرض لها تلك الظعون التي ربما فيها حبيبته ، أو يتعرض هو للهلاك ان طلب تلك الظعون .

وفيه (الالتفات) من الخطاب الى الغيبة بقوله : (جعلن ...) . وفيه (الجمع) بقوله : (وكم بالقنان ... الخ) . و (الطباق) في قوله : (محل و محرم) . و(التكرار) بقوله : (القنان ، بالقنان) لطول الفاصلة . وفيه (الحذف) بقوله : (القنان) للمضاف والاصل جبل القنان ، وفيه (التعريض) بقوله : (وكم بالقنان ... الخ) فالمعنى القريب : ان في هذا الجبل من أهل الشر وأهل الخير ، والمعنى البعيد أنه أو ظعن الحبيبة رّبما يتعرض للهلكة على يد الموجودين من أهل الشّر فيه . وفي البيت (التقييد) بالعطف في قوله : (وحزنه ، وكم .... ، ومحرم) .

---

[١٥] ورد البيت في (ب) : تسلسل (١٢) .

القنان : جبل لبني أسد ، حزنه : الحزن الموضع الغليظ ، المُحِل : من لا عهد له ولا ذمة ، المحرِم : من له حرمة الذمة والعهد .

٩- وَعَالَيْن أَنْماطا عِتاقا وَكِلَّةً وِرادَ الحَواشي لَوْنُها لَوْنُ عَنْدَمِ [١٦]

المعنى :

وعالين معطوف على جعلن ، اي رفعن على الهوادج أثواب صوف كريمة ، وأستارا رقيقة حمراء الحواشي لونها لون ثمر نبات العندم الأحمر . وفي ذلك وصف لأكسية الهوادج وأنها تدل بهذا الوصف على ثراء أهلها وعلوّ مكانتهم .

وفي البيت (مراعاة النظير) في قوله : (لونها لون عندم) إذ راعى في هذا ما سبق من قوله : (وراد الحواشي) فكلاهما أحمر اللون ، (والتكرار) في قوله : (لونها ، لون) و (التقييد) بالنعت بقوله : (عتاقا ، وراد .. الخ) ، والعطف بقوله : (وعالين ، وكلة) . وفي وصف الأنماط والكلة (كناية) عن ثراء أهلها ورفيع مكانتهم بقوله : (انماطا ، عتاقا ، وكلة وراد .... الخ) . وفي قوله : (وعالين) (الوصل) مع البيت قبله .

١٠- ظَهَرْنَ مِنَ السُّوْبَانِ ثُمَّ جَزَعْنَهُ عَلَى كُلِّ قَيْنِيٍّ قَشِيْبٍ وَمُفْأَمِ [١٧]

---

[١٦] ورد في (ب ، جـ)

عَلَوْنَ بِأَنْماطٍ عِتَاقٍ وكِلَّةٍ وِرادِ حَوَاشِيْهَا مُشَاكِهَةِ الدَّمِ

النمط : ثوب صوف يطرح على الهودج ، عالين : رفعن ، عتاقا : كراما ، وكِلَّة : الستر الرقيق يتوقى به من البعوض ، وراد : جمع ورد وهو الاحمر ، عندم : ثمر نبت لا ساق له أحمر .

[١٧] ورد في (ب) تسلسل (١٣) وفي (جـ) تسلسل (١٥)

ظهرن : خرجن : السوبان : اسم واد ، جزعنه : قطعنه ، القينيّ : رحل منسوب الى بني القين وهم حي من اليمن ، القشيب : الجديد ، المفأم : الواسع .

المعنى :

يصور مسير موكب الظعون وهيئته بأنه برز وظهر من بداية وادي السوبان ثم قطعه وتجاوزه ؛ وهم على رحال يمانية واسعة يطلق عليها قيني ، تعلوهم المهابة ويسودهم الترف وهم فوق تلك الرحال الناصعة التي تدل سعتها على ضخم أجسام النساء وكمال عافيتهن .

وفي البيت (الفصل) بقوله : (ظهرن ...) إذ إن العبارة في هذا البيت بمنزلة البدل من العبارة في البيت قبله ؛ التي يصور فيهما هيئة موكب تلك الضعائن ومسيرها ، وفصل لكمال الاتصال بينهما . وفيه (المطابقة) في قوله : (ظهرن : برزن ، وجزعن : قطعن) . (ومراعاة النظير) في قوله : (قشيب ومفأم) التي تتناسب مع قوله : (كل قيني) المشهور بهذه الصفات . و (الاستتباع) بقوله : (ومفأم) زيادة في المدح . وفي البيت (التقييد) بالنعت بقوله : (قشيب ومفأم) والعطف بقوله : (ثم جزعنه ، ومفأم) .

١١- وَوَرْكُنَ فِي السُّوبَانِ يَعْلُوْنَ مَتْنَهُ عَلَيْهِنَّ دلُّ النَّاعِمِ المُتَنَعِّمِ[١٨]

المعنى :

ووركن معطوف على (ظهرن) في البيت قبله ، أي : خلّف الظعائن وادي السوبان وراءهن ؛ أو ان النساء بقين متوركات على أوراك

---

[١٨] ورد في (ب) تسلسل (٩) وفي (جـ) تسلسل (١٠)

ووركن : ركبن أوراك ركائبهن ، أو خلفت الابل الموضع وراء أوراكها ، المتن : ما غلظ من الارض وارتفع ، دلُّ الناعم : دلال النعمة وطيب العيش ، المتنعم : تكلف النعمة .

الركائب ، والركب يعلو متن السوبان الغليظ المرتفع في الجهة الأخرى منه ، وعلى الرغم من هذه المتاعب والجهود فانه يبدو على تلك النسوة آثار الدلال والنعمة أو التظاهر بذلك لما يرين في أنفسهن من علوّ الشأن ورفيع المنزلة .

وفي البيت (الوصل) في قوله : (ووركن ...) بالعطف على جملة البيت قبله بقوله: (ظهرن ...) . وفي قوله : (ووركن ، عليهن دلٌ ...) (كناية) على ترفههن وتنعمهن وعلوّ منزلتهن . و (التخصيص) بتقديم الجار والمجرور بقوله : (عليهن دل ..) . والمطابقة في قوله : (الناعم : النعمة ، المتنعم : المتظاهر بالنعمة) . و(التقييد) بالعطف بقوله (ووركن) .

١٢- كَأَنَّ فُتَاتَ العِهْنِ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ وَقَفْنَ بِهِ حَبُّ الفَنَا لَمْ يُحَطَّمِ[١٩]

المعنى :

يصور هنا موكب الظعن عند توقفه ونزول النسوة منه لأجل الاستراحة أو الطعام و الشراب ، وما يزيّن هوادجهن من قطع الصوف الأحمر حولها الذي يشبّهه بحب الفنا السليم ، والفنا شجر ثمره حبّ أحمر وفيه نقط سود ، وقيل هو عنب الثعلب ، وإنْ تحطم كان باطنه أبيض ، ولذلك قيّده بأنه غير محطم حتى يشابه قطع الصوف الحمراء .

وفي البيت (التشبيه المرسل) فالمشبّه قوله : (كأن فتات العهن) والمشبّه به قوله : (حب الفنا لم يحطم) . و (الاعتراض) في قوله :

---

[١٩] ورد في (ب ، جـ ، د) : في كل منزل ، نزلن ، وورد في (ب) تسلسل (١٤) وفي (جـ) تسلسل (١٣) ، الفتات : اسم لما انفت من الشئ اي تقطع وتفرق ، العهن : الصوف ، الفنا : شجر ثمره حب أحمر وفيه نقط سوداء وقيل عنب الثعلب .

(فـي كـل موقـف وقفـن بـه) . وفـي البيـت (الايغـال) فـي قولـه : (لـم يحطـم) . وفيـه (الملحـق بالجنـاس – المشـتق) بقولـه : (موقـف ، وقفن) . وفيه (المبالغة) في الكثرة في تشبيهه قطع الصوف بحب الفنا . وفيـه (التقييـد) بالنواسـخ فـي قولـه : (كـأن ..) ، وبـالنفي فـي قولـه : (لم يحطّم) .

١٣- بَكَرْنَ بُكُورًا وَاسْتَحَرْنَ بِسُحْرَةٍ فَهُنَّ وَوَادِي الرَّسِّ كَالْيَدِ فِي الْفَمِ[٢٠]

المعنى :

سرن مبكرات وقت السحر الأعلى باتجاه وادي الرّس ، وهو واد لبني أسد فيه النخل والماء ، وإن مسيرهن لا يخطئ في هذا الوادي كما لاتخطئ اليد الفم ، بمعنى أنها طريق سالكة معلومة .

وفي البيت (الملحق بالجناس – المشتق) في قوله : (واستحرن – بسحرة) . و (التشبيه التمثيلي) فـي قولـه : (فهنَّ ... الـخ) فالمشبه : هيئة سيرهن ودخولهن وادي الرس لا يخطئنه بقوله : (فهن ووادي الرس) والمشبه به : هيئة اليد التي تقصد الفم لا تخطئه بقوله : (كاليد في الفم) ووجه الشبه منتزع من متعدد . وفي قوله : (فهن ... الخ) (كناية) عن وضوح معالم الطريق وأنه مسلوك . و (مراعاة النظير) في قوله : (بكرن بكورا ، استحرن بسحرة) فكلا الجملتين متوافقتين تفيدا التبكير والإسراع ، وفيه (اللف والنشر) بقوله : (فهن ..الخ) فاللف في قوله : (فهن ووادي

---

[٢٠] ورد في (ب ، جـ) تسلسل (١١) وورد في (ب ، جـ ، د) كاليد للفم بكرن : سرن بكرة ، استحرن : خرجن وقت السحر ، بسحره : السحر الاعلى ، وادي الرس ، ماء ونخل لبني اسد .

الرس) والنشر في قوله (كاليد في الفم) . وفيه (التقييد) بالعطف بقوله : (واستحرن ، ووادي) وبضمير الفصل بقوله : (فهن) .

١٤- فَلَمَّا وَرَدْنَ المَاءَ زُرْقًا جِمَامُهُ وَضَعْنَ عِصِيَّ الحَاضِرِ المُتَخَيِّمِ[٢١]

المعنى :

عندما حضرت تلك الظعائن الماء ، كان ما تجمع منه صافيا لم يرده أحد قبلهن فيكدره ، فشعرن بالسرور والأمان وقررن الاقامة بعض الوقت حوله وكأنهن في خيام الاقامة الدائمة في وطنهن.

وفي البيت (التسهيم) إذ إن صفاء الماء وكثرته في شطر البيت بقوله : (فلما .... جمامة) كان سببا ودليلا في إقامتهن حوله في قوله : (وضعن .. الخ) . وفي قوله : (وضعن ... الخ) (كناية) عن الاقامة ووضع عصى الترحال ، ويكون ايضا (مثلا) فيضرب لمن قرر الاقامة بعد طول السفر ، وفيه كذلك (التدبيج) إذ قصد بهذه الكناية الشعور بالامان وكأنهن في موطن اقامتهن الاصلية . و (الايغال) في قوله : (المتخيم) إذ يتم المعنى بدونها عند التعبير عن الاقامة بقوله : (وضعن عصي الحاضر) . و (التقديم والتأخير) في قوله : (زرقا جمامه) فالاصل : جمامة زرق .

---

[٢١] ورد في (ب) تسلسل (١٥)

زرقا : صافيا ، جمامة : ما خرج من البئر وتجمع ، المتخيم : الذي يتخذ خيمة .

١٥- وَفِيْهِنَّ مَلْهَىً لِلَّطِيْفِ وَمَنْظَرٌ أَنِيْقٌ لِعَيْنِ النَّاظِرِ المُتَوَسِّمِ[٢٢]

المعنى :

في هؤلاء النسوة وفي الموضع الذي أقمن فيه ، مجال للَّهو والمتعة لمن كان حسن الذوق والهيئة ، ففيهن محاسن تثير الإعجاب لمن كان لديه نظر الخبير المتفرس الذي يبحث عن سمات الجمال والأناقة .

وفي البيت (التقديم والتأخير) في قوله : (وفيهن ملهى) فالأصل ملهى فيهن . و (مراعاة النظير) في قوله : (ملهى للطيف ، ومنظر أنيق لعين ...) . و (الايغال) في قوله : (المتوسم) لان المعنى يتم بدونه . و (الجمع) في قوله : (وفيهن ملهى ... ومنظر) . وفيه (التقييد) بالنعت بقوله : (أنيق ، المتوسم) ، والعطف بقوله : (ومنظر) وضمير الفصل بقوله : (وفيهن) .

١٦- سَعى ساعيا غَيْظِ بن مُرَّةَ بَعْدَمَا تَبَزَّلَ ما بَيْنَ العَشِيْرَةِ بالدَّمِ[٢٣]

---

[٢٢] ورد في (ب) تسلسل (١٠) وفي (جـ) تسلسل (١٢) وورد في (ب) : الصديق .

الملهى : النهر وموضعه ، اللطيف : الحسن المنظر ، الانيق : المعجب ، المتوسم : المتفرس .

[٢٣] لم يرد هذا البيت في (جـ)

غيظ بن مرة : حي من غطفان ، منه هذان الرجلان الساعيان في الصلح ، تبزل : تشقق .

المعنى :

سعى في الصلح ساعيان من حي غيظ بن مرة من غطفان ، وهما الحارث بن عوف وهرم بن سنان ، وقيل خارجة بن سنان ، سعيا فيه بعدما تشقق ما بين العشيرة من الإلفة والمودة ؛ بالدم والقتل والثارات والحقد . فكان الصلح بين قبيلتي عبس وذبيان إثر حرب داحس والغبراء ، وتحمّلا ديّات القتلى .

وفي البيت (الاقتضاب) إذ انتقل من وصف الرحلة الى واقعة الصلح وهو الغرض الرئيس من القصيدة من غير تمهيد وهو نوع من أنواع التخلص . وفيه (الملحق بالجناس – المشتق) بقوله : (سعى – ساعيا) . و (الاعتراض) بقوله : (ما بين العشيرة) . وفيه (الاستعارة التمثيلية) بقوله : (تبزل ... الخ) إذ شبه هيئة الخلاف والفرقه والتشقق الذي حصل بين القبيلتين ؛ بهيئة الجسم الذي جُرِّح وتقطعت أوصاله وسالت دماؤه وتعطلت قواه ، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق الاستعارة التمثيلية ، والقرينة المانعة قوله : (مابين العشيرة) ووجه الشبه منتزع من متعدد . وفي البيت (الافتنان) إذ ورد في شطر البيت أسباب الصلح وفي عجزه أسباب القطيعة .

١٧ – فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذي طَافَ حَوْلَهُ رِجَالٌ بَنَوْهُ مِنْ قُرَيْشٍ وَجُرْهُمِ[٢٤]

---

[٢٤] ورد في (جـ) تسلسل (١٦) .

المعنى :

حلفت بالكعبة التي طاف حولها مَنْ بناها من رجال قريش وجرهم ، وجرهم قبيلة من اليمن تزوج فيهم نبي الله اسماعيل (عليه السلام) فغلبوا على الكعبة والحرم بعد وفاته (عليه السلام) وضعف أمر أولاده لقلّتهم ، ثم استولى عليها بعد جرهم خزاعة الى أن عادت الى قريش ، وقريش اسم لولد النَضر بن كنانة .

وفي البيت (الالتفات) من الغيبة الى التكلم . وفيه (التلميح) بقوله : (رجال ...الخ) إذ فيه إشارة إلى قصة المصاهرة بين نبي الله اسماعيل (عليه السلام) وجرهم وعلاقة ذلك بخدمة الكعبة المشرفة . و (الجمع) في قوله : (بنوه ...الخ) . (والتقديم والتاخير) بقوله : (طاف حوله رجال) والاصل طاف رجال حوله . وفيه (التقييد) بالعطف بقوله : (وجرهم).

١٨- يمينا لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم[٢٥]

المعنى :

يمينا منصوب بـ (أقسمت) في البيت قبله ، اي : اقسمت بالكعبة يمينا إنكما نعم السيدان ، فأنتما جديران بحلّ وإصلاح ما سهل من الخطوب ، وما اشتد منها .

---

(٢٥) السحيل : خيط واحد لا يضم اليه اخر ، والمبرم : يفتل خيطين حتى يصيرا خيطا واحدا .

وفي البيت (الالتفات) من التكلم الى الخطاب بقوله : (وجدتما ...) . و (التقديم والتاخير) بقوله : (نعم السيدان وجدتما) فالاصل : وجدتما نعم السيدان (والجمع) في قوله : (من سحيل ومبرم) ؛ وفيه أيضا (الاستعارة التصريحية) إذ شبه الأمر الهين بالسحيل ، والأمر الجلل بالمبرم ، واستعار اسمي المشبه به للمشبه .

١٩- تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا تَفَانَوْا وَبَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشَمِ[٢٦]

المعنى :

تمكنتم من بلوغ مَنْ بقي من عبس وذبيان فتلافيتموهم الى السلامة ، بعد ان استفحل الامر بينهما وسارا في طريق التقاتل الى النهاية ؛ حتى ضُرب فيهم المثل المعروف بأنهم نشروا بينهم عطر منشم . ((قالوا منشم امرأة عطارة فتحالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها ليتحرموا به ثم خرجوا الى الحرب فقُتلوا جميعا فتشائمت العرب بها)) [٢٧] فضُرب مثلا في الشتاؤم .

وفي البيت (الجمع) في قوله : (عبسا وذبيان) . و (الافتنان) إذ جمع بين أسباب السلامة في شطر البيت ، وبين أسباب الهلكة في عجزه . وفيه (التلميح) في قوله : (وبقوا بينهم عطر منشم) إذ فيه الاشارة الى قصة المراة منشم المذكورة ، وفيه أيضا (الاستعارة التمثيلية) إذ

---

[٢٦] ورد في (ب ، جـ ، د) وبقوا بينهم ، وورد في (جـ) تسلسل (١٨) .

تداركتما : تلافيتما ، بقوا : نشروا . عطر منشم : مثل يضرب في شدة التشاؤم وانتشار الشر في القوم .

[٢٧] شرح القصائد العشر للتبريزي : ١١٢ .

استعير هذا المثل – ويقوا بينهم عطر منشم -- تشاؤما للقتال المستشري بين عبس وذبيان ، فحالهم هذا مشبه والمثل مشبه به ، فحذفت هيئة المشبه ، واستعير لها هيئة المثل المشبه به المنتزعة من متعدد على سبيل الاستعارة التمثيلية.

٢٠ – وَقَدْ قُلْتُمَا إِنْ تُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعا بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ القَوْلِ نَسْلَمِ[٢٨]

المعنى :

وقد حكمتم بأنَّ إدراك الصلح إنْ كان ممكنا ببذل المال لديات القتلى والجرحى ؛ والتوفيق بين الاراء بالقول المعروف والحكمة ؛ فاننا نفعل ذلك حتى إنجاز الصلح واطفاء نار الحرب .

وفي البيت (المزاوجة) بين جهود الصلح في الشرط بقوله : (إنْ ندرك .... القول) ونهاية الحرب في الجزاء بقوله : (نسلم) اي : تنتهي الحرب ونسلم من أوزارها . و (الجمع) بقوله : (بمال ومعروف من القول) ولا يتم الصلح بغيرهما . و (الاكتفاء) في قوله : (نسلم) إذ إن هذه القافية متعلقة بمحذوف لا حاجة لذكره لدلالة لفظ البيت عليه ليكون : نسلم من الحرب .... وفي البيت (التقييد) بالشرط في قوله : (إنْ ندرك ... الخ) ، والنعت بقوله : (واسعا) ، والعطف بقوله : (وقد ، ومعروف) . وفيه (رد العجز على الصدر) بقوله : (السلم) في حشو الصدر ، والتقفية بقوله : (نسلم).

---

[٢٨] ورد في (ب) من الامر ، وورد في (جـ) تسلسل (١٩) .

السلم : يكسر السين وفتحها الصلح ، واسعا : ممكنا .

٢١- فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمِ[٢٩]

المعنى :

مازال يخاطب السيدين الجليلين مادحا بقوله : إنكما أصبحتما من السلم والصلح في مرحلة النهاية الموفقة المباركة ، وعلى الرغم من انكما لم ترتكبا اثما او قطيعة بحق أحد ، فقد أنفقتما أموالا كثيرة لإصلاح ذات البين .

وفي البيت (مراعاة النظير) في شطره فهما على خير ، وفي عجزه بأنهما لم يعقا او يأثما . و (المبالغة) في تكرار المدح في عجز البيت . و (التذييل) بقوله : (مأثم) فالعقوق من الإثم وكلاهما ذنب . وفيه (التقييد) بالنواسخ بقوله : (فأصبحتما) ، والعطف بقوله : (ومأثم) .

٢٢- عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ هُدِيتُمَا وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزًا مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمِ[٣٠]

المعنى :

عظيمين تابع لبعيدين ، اي : وأصبحتما عظيمين في أرفع مكانة في قبائل معد بصنيعكما ، فزادكم الله هدى وبارك فيكما ، ثم أتبع ذلك بحكمة : إن من عمل المكارم وحرص على القيم وبذل أمواله ووقته لأجلها ، فهو كمن استباح لنفسه كنزا عظيما من المجد والرفعة ، وبذلك تعظم منزلته ويعلو شأنه .

---

[٢٩] ورد في (جـ) تسلسل (٢٠) .

العقوق : قطيعة الرحم ، المأثم : الاثم وهو الذنب .

[٣٠] ورد في (ب) معد وغيرها ، وورد في (جـ) تسلسل (٢١)

عليا : أرفع ، معد : وهو ابن عدنان جد القبائل النزارية ، ومنها الممدوحان .

وفي البيت (رد العجز على الصدر) بقوله : (عظيمين) و التقفية بقولـه : (يعظـم) . وفـي قولـه : (ومـن يستبح ... الـخ) مـن (المثـل السـائر) . و (مرعـاة النظيـر) بـين شـطر البيـت وعجـزه . وفيـه (حسـن التعليـل) فـي قولـه : (ومـن يستبح ... الـخ) إذ قـدّم لأجـل الوصـول الـى الرفعـة والعظمـة استباحة أمواله لمستحقيها ، وفيـه ايضـا (المزاوجـة) بـين الشـرط بقولـه : (ومـن ... المجـد) والجـزاء بقولـه : (يعظـم) . وشـبه هيئـة الأموال التي أنفقاها في الصلح والمنزلة التي وصلا إليها ؛ بهيئـة من استباح لنفسـه كنـزا عظيمـا مـن المجـد والرفعـة بقولـه : (ومـن .... الـخ) واسـتعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق (الاستعارة التمثيلية) .

٢٣- وَأَصبَحَ يُحْدى فِيكُمُ مِنْ إفالِها مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إفالٍ مُزَنَّمِ[٣١]

المعنى :

واصـبح يسـاق فـيكم مـن صـغار الابـل عطايـا متواليـة الـى أوليـاء المقتولين وهـي مـن كـرام الابـل المزنمـة ، اي : المعلّمـة بتلـك الدلالـة لتاكيـد كرمها .

وفي البيت (التكرار) بقوله : (من افال) . و (الايغال) بقولـه : (مزنم) للمبالغـة فـي ان عطايـا السيدين من كـرام الابـل . وفيـه (التقييـد)

---

[٣١] ورد في (ب ، جـ) فاصبح يجري فيهم من تلادكم ، وفي (د) واصبح يحدى فيهم من تلادكم ، وورد في (حـ) تسلسل (٢٤) .

يحدى : يساق ، افال : الصغار من الابل بنات المخاض وبنات اللبون ؛ الواحد افيل وافيلة للانثى ، مزنم : التزنيم علامة تجعل على ضرب من كرام الابل على ظاهر الأذن . شتى : متفرقة ؛ او متوالية ، المغانم : النوافل اي العطايا .

بالنعت بقوله : (شتى ، مزنم) . و (التقديم والتاخير) بقوله : (واصبح ... مغانم) بتاخير اسم اصبح ، فالاصل ، وأصبحت مغانم شتى تحدى .

٢٤- تُعَفَّى الكُلُومُ بِالمِئِينَ فَأَصْبَحتْ يُنَجِّمُهَا مَنْ لَيْس فِيْهَا بِمُجْرِمِ[٣٢]

المعنى :

تمحى الجروح والقتول بالمئين من الابل التي تحسب وترسل أقساطا من السيدين الكريمين الى ذوي القتلى وهما لم يجرما بحق أحد ، فتزول بذلك الأحقاد والثارات .

وفي البيت (الالتفات) من الخطاب الى الغيبة بقوله : (تعفى ...). وفيه الاستعارة بقوله : (تعفّى الكلوم بالمئين) وفي تشديد الفاء المبالغة ، إذ شّبه هيئة ترك الثارات وزوال الأحقاد ؛ بهيئة برء الجراح وزوال اثرها عند استلام الديات من الابل ؛ واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق (الاستعارة التمثيلية) . وفي قوله : (ينجمها ... الخ) (كناية) عن السيدين الجليلين ، إذ إنهما تحملا الديات الالاف من الابل يرسلونها أقساطا لمستحقيها دون ان يجرموا بحق احد بل حقنا للدماء ومحوا للاحقاد . وفي البيت (التقييد) بالنواسخ بقوله : (فاصبحت ، ليس) .

٢٥- يُنَجِّمُهَا قَوْمٌ لِقَوْمٍ غَرامَة وَلَمْ يُهَرِيقُوا بَيْنَهُمْ مِلْء مِحْجَمِ[٣٣]

---

[٣٢] ورد في (جـ) تسلسل (٢٢)

التعفية : المحو وإزالة الأثر ، الكلوم : الجراح ، ينجمها : يدفعها أقساطا .

[٣٣] ورد في (جـ) تسلسل (٢٣)

الغرامة : ما يلزم اداؤه من دية وغيرها ، المحجم : كأس الحجام .

المعنى :

يؤدي هذان السيدان الديات من الابل أقساطا لضخامة عددها الى مستحقيها ، وهذا الأداء واجب الوفاء لأنه جرى في ضوء اتفاق الصلح ، على الرغم من انهم لم يريقوا دما من أحد ولو ملء كأس الحجّام .

وفي البيت (التكرار) بقوله : (قوم لقوم) لاختلاف المتعلق . و (التقديم والتاخير) بقوله : (ولم يهريقوا .... محجم) فالاصل : ولم يُهريقوا ملء محجم بينهم ، ويمكن ان يكون البيت (كناية) على شهامة ومروءة السيدين الكريمين ... وفيه (التقييد) بالعطف والنفي بقوله : (ولم ...) .

٢٦- أَلاَ أَبْلِغِ الأَحْلاَفَ عَنِّي رِسالَةً وَذُبْيَانَ هَلْ أَقْسَمْتُمُ كُلَّ مُقْسَمِ

٢٧- فَلاَ تَكْتُمُنَّ اللهَ مَا فِي صُدُورِكُمْ لِيَخْفَى وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَمِ

٢٨- يُؤَخَّرْ فَيُوضَعْ فِي كِتَابٍ فَيُدَّخَرْ لِيَوْمِ الحِسَابِ أَوْ يُعَجَّلْ فَيُنْقَمِ[٣٤]

المعنى :

وجّه الشاعر رسالةً الى الأحلاف وهم أسد وغطفان وقيل معهم طيئ الذين تعاهدوا أن يكونوا يدا على غيرهم مع ذبيان على حرب عبس ، و (هل) هنا بمعنى قد[٣٥] ، والمعنى أبلغ ذبيان وأحلافها بأنكم أقسمتم بكل عظيم على الصلح ، فلا تضمروا الغدر وتكتموه فإن الله يعلمه ، ويعاقبكم

---

[٣٤] ورد في (ب) فمن مبلغ ، وفي (ب ، جـ) ما في نفوسكم ، وورد في (جـ) التسلسل (٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧) .

الحلف : أن يكون معهم يدا على غيرهم .

[٣٥] ينظر (ب) : ٢٨٢ .

عليه يوم الحساب أو يُعجِّل عقابكم . وهذا من مظاهر الايمان بالبعث واليوم الآخر . وتلك من بقايا دين نبي الله ابراهيم (عليه السلام) عند المتحنفين .

وفي الأبيات (الاستطراد) إذ خرج من مخاطبته السيدين الجليلين الى مخاطبة الأحلاف المتخاصمين ونصحهم بقوله : (ألا أبلغ الأحلاف ...) ، وفيها أيضا (الالتفات) من الغيبة الى الخطاب . وفيها (الملحق بالجناس – المشتق) بقوله : (أقسمتم – مقسم) . و (الجناس المضارع) في قوله : (يؤخر – يدخر) . و (المزاوجة) بقوله : (ومهما يُكتم اللهُ) في الشرط و (يعلم) في الجزاء . وفي قوله : (فلا تكتمن ... ليخفى) (كناية) على الغدر ونقض العهد . وفيه (التقسيم) بقوله : (يؤخر ... الحساب – او يعجِّل ... الخ) . و (التجريد) في قوله : (ألا أَبلغ) إذ جرَّد من المخاطبين شخصا ليبلِّغ ما يريد إيصاله للمتخاصمين . و (المذهب الكلامي) في قوله : (فلا تكتمن ... ليخفى) فدلل عدم جدوى ذلك بقوله : (ومهما ... الخ) . و (السجع) في قوله : (يؤخِّرْ ... فيدَّخرْ) . وفيها (الاقتباس) من شريعة سيدنا ابراهيم عليه السلام بقوله : (يؤخر ... الخ) لان هذا المعنى من كلام النبوة . و (حسن التعليل) بقوله : (فلا .... صدوركم) وعلل ذلك بقوله: (ليخفى) فحسن تعليلة وفيها (التقييد) بالعطف في قوله : (وذبيان ، أو يعجل) والشرط بقوله : (ومهما ...) والنفي بقوله : (فلا تكتمن). وفيها (المطابقة) بقوله : (ليخفى – يعلم ، يؤخر – يعجل) .

٢٩- وَمَا الحَرْبُ إلاَّ مَا عَلِمْتُمْ وذُقْتُمْ ... وَمَا هُوَ عَنْهَا بِالحَدِيثِ المُرَجَّمِ

٣٠- مَتَى تَبْعَثُوهَا تَبْعَثُوهَا ذَمِيمَةً ... وَتَضْرَ إِذَا ضَرَّيْتَمُوهَا فَتَضْرَمِ

٣١- فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا وَتَلْقَحُ كِشَافا ثُمَّ تُنْتَجُ فَتْتُئِمِ[٣٦]

المعنى :

أوجز الكلام بقصْر ما عُلم عن أهوال الحرب وأوزارها على ما خبروه وذاقوه منها ، وان الحديث عنها من الحقائق المعروفة ، وانها متى نشبت كانت مذمومة الأحوال والوقائع ، واذا أُضرمت ازدادت ضراوة واشتعالا ، ونتائجها وخيمة تسحقكم كطحن الرحى للحبوب ، وتتوسع وتتشطر كحمل الابل تباعا دون فاصلة ثم تلد أتواما .

وفي الأبيات (ايجاز القصر) بالنفي والاستثناء بقوله : (ومالحرب الا ما علمتم وذقتهم) . و (الاطناب بالتكرار) بقوله : (تبعثوها تبعثوها) للتاكيد . (والجناس المطرّف) بقوله : (تضر ، تضرم) و (الجناس المطرَّف او المرَّدف) بقوله : (تعرك ، عرك) الاولى سحق الحرب للبشر والثانية الطحن للحبوب . و (الطباق) بقوله : (تلقح ، تنتج) . وفي قوله : (وما الحرب .... وذقتم) (كناية) عن التحذير من الغدر والرجوع إليها والى اوزارها . وفي قوله : (وما هو ... المرجم) (كناية) عن ان بلاءها حقيقة لا لبس فيها ، وفي الشطر والعجز هذين (مراعاة النظير) لحصول التناسب بين مضمونيهما و (رد العجز على الصدر) في قوله :

---

[٣٦] ورد في (ب) اذا اضريتموها ، ثم نحمل فتتئم

المرجّم : الغير محقق الوارد بطريق الظن ، وتضر : الضَرى : شدة الحرب واستعار نارها . عرك : طحن ، بثفال : خرقة او جلدة يبسط تحت الرحى ليقع عليها الطحين والباء بمعنى مع ، تلقح : تحمل الولد ، كشاف : اذا حمل على الناقة كل عام ، تنتج : تولد ، تتئم : تلد توأمين .

(وتضر) والتقفية بقوله : (فتضرم) . وفي قوله : (وتضر .... فتضرم) (التسهيم) لان ضرّها وضرمها دليل انهم ضرّموها . (والمشاكلة) في قوله : (فتعرككم عرك الرحى) . و (المماثلة) في قوله (متى تبعثوها تبعثوها ، وتضر اذا ضريتموها). واستعار لتوسع ساحة الحرب وسرعة انتشارها قوله : (وتلقح ... الخ) (استعارة تصريحية تمثيلية) منتزعة من متعدد إذ إن دوام الحمل وولادة التوائم دليل التشطر والتوسع وهذا ماشبه به الحرب ونتائجها ، وفيه أيضا (المبالغة) . وفي قوله : (فتعرككم .... بثغالها) (التشبيه البليغ) فقوله : فتعرككم مشبه ، وعرك الرحى بثقالها مشبه به . وفي الأبيات (التقييد) بالنعت بقوله : (المرجم ، ذميمة) والعطف بقوله (وما ، وذقتم ، وماهو ، وتضر ، فتعرككم ، وتلقح ، ثم تنتج ، فتتئم) وضمير الفصل بقوله : (هو) والشرط بقوله : (متى .... ، اذا) والنفي بقوله : (وما الحرب ، وما هو) .

٣٢- فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ كُلُّهُمْ كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ

٣٣- فَتُغْلِلْ لَكُمْ مَا لا تُغِلُّ لأَهْلِهَا قُرَىً بِالْعِرَاقِ مِنْ قَفِيزٍ وَدِرْهَمِ[٣٧]

المعنى :

في البيتين العطف على ما سبقه من كلام ، إذ بيَّن إن من أوزار الحرب إيجاد غلمان يطغى عليهم السوء والشؤم ، وشبههم بعاقر ناقه ثمود

---

[٣٧] غلمان اشأم : غلمان شوم وشر ، أحمر عاد : أحمر ثمود ، وهي عاد الاخيرة الذي عقر الناقة واسمه قدار بن سالف ، تغلل : تعطي الغلال ، قفيز : ضرب من المكاييل .

وهي عاد الاخيرة ، ثم أشار الى أنها تطول سنينها ، وتهكّم بهم بقوله : إنها لا تاتيكم بالغلل التي تأتي بها قرى العراق لاهلها من القفيز والدرهم ؛ بل تأتيكم بالجوع والجرحى والقتلى . أو انها تاتيكم بالديات . وفي كل ما تقدم حثّ منه على عدم الغدر والتمسك بالصلح .

وفيه (التشبيه المرسل) في قوله : (غلمان أشأم كلهم) المشبه ، والمشبه به قوله : (كأحمر عاد) وهو عاقر الناقة واسمه (قدار بن سالف) وقد ذكرت الأداة في التشبيه . وفي قوله : (ثم ترضع فتفطم) (كناية) عن طولها وصعوبة انكشافها وفيها يفنى بعضكم بعضا . وفيه (المطابقة) بقوله : (ترضع – تفطم ، تغل – لا تغل) وفي قوله : (فتنتج .... عاد) (التسهيم) مع البيت قبله إذ إن هذا المعنى دليل لما تقدم عليه ، وفي قوله : (فتغلل ... الخ) (التسهيم) أيضا لأن المعنى فيه دليل لما تقدم عليه . وفي قوله : (تغل لأهلها ... ودرهم) (الجمع مع التقسيم) ، فالجمع قوله : (تغل لأهلها) والتقسيم قوله : (من قفيز ودرهم) . و (القول بالموجب) بقوله : (فتغلل ... الخ) إذ ذكر ان الحرب تغلل لهم ولم يحدد ذلك ، وأثبت أنه لا يكون كما تغلل قرى العراق لأهلها من القفيز والدرهم . وفيه (الاقتباس) بقوله : (أحمر عاد) مما بقي من شريعة نبي الله ابراهيم (عليه السلام) ؛ ويمكن أيضا أن يكون في ذلك (التلميح) لان فيه إشارة الى قصة عاقر ناقة ثمود . وفيه (التقييد) بالعطف بقوله (فتنتج ، ثم ترضع ، فتغلل ، ودرهم) والتوكيد بقوله : (كلهم) والنفي بقوله : (لا تغل) .

٣٤- لِحَيِّ حِلالٍ يَعْصِمُ النَّاسَ أَمْرُهُمْ إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمِعْظَمِ[٣٨]

٣٥- كِرَامٍ فلا ذُو الضَّغْنِ يُدْرِكُ تَبْلَهُ وَلا الجَارِمُ الجَانِي عَلَيْهِمْ بِمُسْلَمِ[٣٩]

٣٦- رَعَوْا ظِمْأَهُمْ حَتَّى إِذَا تَمَّ أَوْرَدُوا غِمَارا تَسَيْلُ بِالسِّلاحِ وَبِالدَّمِ[٤٠]

٣٧- فَقَضَّوْا مَنَايَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ أَصْدَرُوا إِلَى كلاءٍ مُسْتَوْبِلٍ مُتَوَخَّمِ[٤١]

المعنى :

عاد من الاستطراد في البيت (٢٦) الرسالة التي وجهها الى الأحلاف ، ودخل في مضمون مسيرة السيدين في الصلح ، وذلك أن سعيهما وبذل الأموال للديات في البيت (١٦) بقوله : سعى ساعيا ... كان لحي حلال ، وصفه بكثرة البيوت المتقاربة الذي يدل على كثرة ديات القتلى وهذا الأمر يمنع الناس إذا دهمتهم الليالي من النوائب والدواهي ، ثم يصفهم بأنهم كرام لا يدرك ذو الحقد ثأره منهم ، ولا يخذلون من جنى عليهم من جيرانهم

---

[٣٨] ورد في (ب) تسلسل (٤٦) وفي (جـ) تسلسل (٤٤) وورد في (جـ ، د) اذا طرقت ، وفي (ب) اذا طلعت .

[٣٩] ورد في (ب) تسلسل (٤٧) وفي (جـ) تسلسل (٤٥) وورد في (ب) ذو الوتر يدرك وتره لديهم ولا الجاني.

[٤٠] ورد في (ب) تسلسل (٤٠) وفي (جـ) تسلسل (٣٩) وورد في (ب ، د) رعوا ما رعوا من ظمئهم ثم اوردوا وفي (جـ ، د) تفرى بالسلاح وفي (ب) بالرماح .

[٤١] ورد في (ب) تسلسل (٤١) وفي (جـ) تسلسل (٤٠) .

الحي الحلال : كثير العدد ، المعظم : الخطب العظيم ، الضغن : العداوة ، التبل : الثأر ، الجارم الجاني ، ذو الجرم ، مسلم : مخذول ، الظما : ما بين الوردين ، غمارا : جمع غمر وهو الماء الكثير ، قضوا : احكموا واتمموا ، صدروا : ضد أوردوا ، مستوبل متوخم : الذي لا يستمرأ .

وحلفائهم ، بل يمنعونه . ثم يصفهم بأنهم تمتعوا بالسلم كما ترعى الابل بين الشربين ، ثم عادوا وأوردوا أنفسهم غمار الحرب التي تسيل دماؤها بالسلاح . فقضى بعضهم على بعض قتلا ؛ ثم أقلعوا عنها الى أمر استوخموا عاقبته ؛ فبعد أن كانوا أشداء مهابين صاروا يأخذون الديات لقتلاهم .

وفي الابيات (الألتفات) من الخطاب الى الغيبة بقوله (لحي حلال ... الخ) . و (التقديم والتأخير) بقوله : (يعصم الناس أمرهم) فالأصل : يعصم أمرُهُم الناسَ . و (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (إذا ... الخ) والجزاء بقوله : (يعصم الناس أمرَهُم) لأن إذا ظرف الزمان للمستقبل يتضمن معنى الشرط . وفي قوله : (اذا نزلت ... بمعظم) (مجاز مرسل) سميت هذه الليالي ووصفت بصفة ما يقع فيها من الدواهي ، تعبيرا بوصف الزمان بصفة ما يشتمل عليه . وفي قوله : (كرام .... بمسلم) (الجمع مع التفسيم) فالجمع بقوله : كرام ، والتقسيم بقوله : (فلا .... تبله ، ولا بمسلم) . وفيه (مراعاة النظير) بين قوله : (الضغن – التبل ، الجارم – الجاني) (والمطابقة) بقوله : (يُدرك ، بمُسلَّم) بمعنى ينال ، ويخذل . وفي قوله : (رعوا ظمأهم) (مجاز مرسل) بالتعبير عن المكان وهو المرعى ، بصفة ما يشتمل عليه من الفترة بين الشربين من الزمان ، وفيه أيضا (الكناية) عن السلام واستقرار الحياة المؤقت في الحروب . واستعار قوله : (أوردوا ... وبالدم) إذ شبه هيئة الانزلاق في أهوال الحروب التي تسيل بالدماء والسلاح ، بهيئة ورود المياه الجارفة التي تكسح ما تجري عليها ، وحذف المشبه به وترك من لوازمه قوله : (غمارا تسيل) (استعارة تمثيلية) منتزعة من متعدد . و (التذييل) بقوله : (وبالدم) .

و (المطابقة) في قوله (رعوا – اوردوا ، ظمأ – غمار) . و (الاقتران) في قوله : (رعوا ... تم) ما يدل على السلام والطمأنينة ، وقوله (أوردوا .. وبالدم) ما يدل على الحروب وأوزارها ، وفيه أيضا (التفريع) إذ فرّع من وصفه لهم بانهم (رعوا ... تم) وصفهم بانهم (أوردوا ... وبالدم) . و (التفريع) في قوله : (فقضوا ... الخ) إذ فرّعَ من وصفهم بقوله : (فقضوا .... بينهم) وصفهم بأنهم (أصدروا ... متوخم) . و (الايغال) بقوله : (متوخَّم) . وشبه هيئة ذوي القتلى بانصرافهم الى أخذ ديات قتلاهم بعد أن فجعوا بقتل بعضهم بعضا ، بهيئة الابل التي صدرت الى كلاء مستقل متوخَّم لا يُستمرا أكله ، بقوله : (فقضوا .. متوخم) وحذف المشبه واستعار له المشبه به (استعارة تمثيلية) منتزعة من متعدد . وفي الابيات (التقييد) بالنعت بقوله : (حلال ، كرام ، غمارا ، مستويل ، متوخم) والعطف بقوله : (ولا الجارم ، وبالدم ، ثم اصدروا) . وفي قوله : (كلاء مستويل متوخم) (التلميح) إذ ان في قوله هذا اشارة الى المثل السائر (كلأ وبيل وماء وبيل) .

٣٨– لَعَمْرِي لَنِعْمَ الحَيُّ جَرَّ عَلَيْهِمُ بِمَا لاَ يُوَاتِيْهِم حُصَيْنُ بْنُ ضَمْضَمِ[٤٢]

٣٩– وَكَانَ طَوَى كَشْحا عَلَى مُسْتَكِنَّةٍ فَلاَ هُوَ أَبْدَاهَا وَلَمْ يَتَقَدَّمِ[٤٣]

---

[٤٢] ورد في (ب) تسلسل (٣٤) وفي (جـ) تسلسل (٣٣).

[٤٣] ورد في (ب) تسلسل (٣٥) وقوله : (ولم يتجمجم) ، وفي (جـ) تسلسل (٣٤) .

٤٠ - وَقَالَ سَأَقْضِي حَاجَتِي ثُمَّ أَتَّقِي عَدُوِّي بِأَلْفٍ مِنْ وَرَائِيَ مُلْجِمِ[٤٤]

المعنى :

أقسم الشاعر إن أهل هذا الحي نعم الناس ، ولكن حصين بن ضمضم جنى عليهم بما لا يوافقهم ، إذْ إنه أخفى في نفسه بعد الصلح الغدر ثأرا لأخيه ، ولم يظهر ذلك حتى يُتَّقى أو يتردَّد فيه موافقه للصلح ، وقال في نفسه سأقضي حاجتي بقتل قاتل أخي أو قتل كفؤ له ، ثم أجعل بيني وبين عدوي ألف فارس على خيل ملجمة .

وفي الابيات (التلميح) بالاشارة الى قصة الحصين بن ضمضم بقوله : (جر ... ضمضم) وفيه (الاستطراد) إذ خرج من مدح أهل الحي الى قصة الحصين بقوله : (لنعم ... الخ) . وفيه (الحذف) بقوله : (الحي) فالاصل : أهل الحي . وفيه (الجمع مع التقسيم) فالجمع في قوله : (وكان ... مستكنة) والتقسيم في قوله : (فلاهو ابداها ، ولم يتقدم) . و (المطابقة) في قوله : (طوى ، أبداها) وفي قوله : (طوى كشحا على مستكنة) تشبيه هيئة من أضمر السوء وأخفاه ولم يبحه لأحد ، بهيئة من وضع شيئا يريد أن يخفيه في مكان لا يصل اليه أحد ؛ وحذف المشبه واستعار المشبه به للمشبه (استعارة تمثيلية) منتزعة من متعدد وفيه

---

[٤٤] ورد في (ب) تسلسل (٣٦) وفي (جـ) تسلسل (٣٥)

جر عليهم : جنى عليهم . يواتيهم : يوافقهم ، طوى كشحا : الكشح منقطع الاضلاع اي الجنب وطوى كشحه اي اضمر في صدره ، مستنكة : الاستكنان الاستتار ، ابداها : اظهرها ، ملجم : ملجم فرسه .

أيضا (كناية) عن الغدر واضمار السوء . وفيه (التفريع) بقوله : (وقال ساقضي حاجتي) ثم فرّع بقوله (ثم ... ملجم) . و (حسن التعليل) في قوله : (ساقضي .. ملجم) إذ علّل قضاء حاجته من الثار واتقاء ضرر عدوه ، لوجود ألف فارس يدفعون عنه . و (مراعاة النظير) في قوله : (سأقضي حاجتي ، ثم أتقي عدوي) . و (التقييد) بالنعت في قوله : (ملجم) والعطف في قوله : (ولم يتقدم ، وقال ، ثم اتقي) وضمير الفصل بقوله : (هو) والنواسخ بقوله : (وكان) والنفي بقوله : (لا يؤاتيهم ، فلا هو ، ولم يتقدم) .

٤١- فَشَدَّ وَلَمْ يُنْظِرْ بُيُوتًا كَثِيرَةً لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَهَا أُمُّ قَشْعَمِ[٤٥]

٤٢- لَدَى أَسَدِ شَاكِي السِلاحِ مُقَاذَفٍ لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ[٤٦]

٤٣- جَرِيءٍ مَتَى يُظْلَمْ يُعَاقِبْ بِظُلْمِهِ سَرِيعًا وَإِلاَّ يُبْدَ بِالظُّلْمِ يَظْلِمِ[٤٧]

---

(٤٥) ورد في (ب) تسلسل (٣٧) فشد ولم تفزع بيوتٌ كثيرةٌ . وفي (جـ) تسلسل (٣٦) فشد فلم يُفزع ، وفي (د) ولم يُنظره .

(٤٦) ورد في (ب) تسلسل (٣٨) السلاح مقذَّف ، وفي (جـ) تسلسل (٣٧) السلاح مقذَّف ، وفي (أ) شاكي البنان.

(٤٧) ورد في (ب) تسلسل (٣٩) وفي (جـ) تسلسل (٣٨)

فشد : الشدة الحملة . ينظر : يؤخر ، ام قشعم : المنية او الحرب الشديدة ، شاكي : سلاحة ذو شوكة ، مقاذف : غليظ اللحم أو يقذف به الى الوقائع، لبد : جمع لبدة وهي الشعر المتراكب على زبرة الاسد ما بين الكتفين ، لم تقلم : تام السلاح حديده ، جريء : شجاع .

المعنى :

فحمل حصين على قاتل أخيه ولم يؤخر إقدامه كثرة الحشود في هذه البيوت الكثيرة ، في موضع نزلت فيه المنية وألقت رحلها ، اي في موضع حانت فيه المنية فقتله ، والقاتل أسد تام السلاح تتقاذفه الحروب متكامل القوى حادّ الشكيمة ، شجاع سريع ردة الفعل لا يُؤخّر عقاب من ظلمه ، وإنْ لم يتعرض له أحد بظلم ، أظهر للناس قدراته وعظيم بلائه ليهابوه وليس بقصد التجاوز عليهم ، وهذه الصفات عُني بها حصينا ، وتلك صفات رجل الصحراء الذي يواجه الحياة بجسده .

وفي قوله : (فشد ... كثيرة) (كناية) عن عدم مبالاته بجميع مَنْ حوله من أجل الثأر لاخيه ، وفيه أيضا (المبالغة) . وفي قوله : (لدى ... قشعم) (مثل) وفيه شبَّه هيئة حلول أوان المنية ودواعي الموت ، بهيئة نزول المسافر من رحلة في موضع ليستقر فيه ، بجامع حلول أوان الشئ في كلٍ ، واستعير الكلام الموضوع للمشبه به للمشبه على طريق (الاستعارة التمثيلية) . (والتقديم والتاخير) بقوله : (القت .. الخ) والاصل ألقت أم قشعم رحلها . وفي قوله : (لدى أسد) (استعارة تصريحية) إذ شبّه الحصين الشجاع بالاسد ، وفي قوله : (شاكي السلاح مقذف) (الاستعارة المجردة) لذكره ما يناسب المستعار له ، وفي قوله : (له لبد ... تقلم) (الاستعارة المرشحة) لذكره ما يناسب المستعار منه ، وفي اجتماع التجريد والترشيح تسمى (استعارة معادلة).[٤٨] وفيه

---

[٤٨] ينظر جهود العلماء القدماء والمحدثين : ٤٣ .

(الموازنة) إذ توازن زهير بقوله : (اظفاره لم تقلم) مع أوس بن حجر بقوله[٤٩]:

لعمرك انا والاحاليف هؤلا لفي حقبة أظفارها لم تقلّم

وفي قوله : (أظفاره لم تقلم) (كناية) عن جاهزيته للقتال . وفيه (المزاوجة) بين عدم الظلم في الشرط بقوله : (والا يُبد بالظلم) والظلم في الجزاء بقوله : (يَظلم) وفيه (رد العجز على الصدر) بقوله : (يُظلَم ، بظلمه) والتقفية بقوله : (يظلم) . وفيه (التقييد) بالعطف بقوله : (فشد ، ولم ، والا) والشرط بقوله : (والا ...) والنفي بقوله : (ولم ينظر ، لم تقلم ، لا يبد) .

٤٤ - لعمْرُكَ ما جَرَّتْ عَلَيْهِمْ رماحُهُمْ دَمَ ابْنِ نَهِيْكٍ أَوْ قَتيْلِ المُثَلَّمِ[٥٠]

٤٥ - وَلا شَارَكَتْ فِي المَوْتِ في دم نَوْفَلٍ وَلاَ وَهَبٍ منها وَلا ابْنِ المُحَزَّمِ[٥١]

٤٦ - فَكَلا أَرَاهُمْ أَصْبَحُوا يَعْقِلُونَهُ صَحيْحاتِ أَلْفٍ بعْدَ أَلْفٍ مُصَتَّمِ[٥٢]

---

[٤٩] ديوان اوس بن حجر : ١٢٠ .

[٥٠] ورد في (ب) تسلسل (٤٢) ، وفي (جـ) تسلسل (٤١) .

[٥١] ورد في (ب) تسلسل (٤٣) ولا شاركوا في القوم ... وهب منهم ، وفي (جـ) تسلسل (٤٢) المخزم ، وفي (د) في الحرب ... المحزم .

[٥٢] ورد في (ب) تسلسل (٤٤) يعقلونهم ... علالة ، وفي (جـ) تسلسل (٤٣) صحيحات مال طالعات بمخزم ، وفي (د) علالة الف .

جرت : جنت من الجريرة ، يعقلونه : عقلت القتيل وديته ، وسميت الدية عقلا لأنها تعقل الدم عن السفك اي تحقنه وتحبسه ، مصتم : المصتّم اي التام .

المعنى :

أُقسم بحياتك إن رماحهم لم تجن عليهم دم ابن نهيك وقتيل المثلَّم ، ولا شاركت تلك الرماح في قتل نوفل ولا وهب ولا ابن المحزم ، لأنهم قُتلوا قبل هذه الحرب ، فلما شملتهم هذه الحرب أدخلوا كل قتيل فيها وطالبوا بدياتهم حتى اصطلحوا ، والمقصود بالبراءة من الدماء السيدان الكريمان اللذان أصبحا يؤديان الدية شهامة عن كل قتيل بإبل صحيحات ألفا بعد الف تامات العدد الى أوليائهم .

وفي الابيات (الالتفات) من الغيبة الى الخطاب بقوله : (لعمرك ...) والعودة من الاستطراد بقصة الحصين بن ضمضم في البيت (٣٨) . وفيها (التقديم والتاخير) في قوله : (ماجرَّت عليهم رماحهم) فالأصل : ماجرَّت رماحهم عليهم ؛ وكذلك في قوله : (فكلا أراهم أصبحوا) فالأصل : فأرى كلا أصبحوا . وفي قوله : (قتيل المثلَّم) (كناية) عن القتيل الذي قتل به . وفي قوله : (لعمرك ... رماحهم) (كناية) عن براءتهم من الدماء وشهامتهم . و(الحذف) في قوله : (يعقلونه صحيحات) فالأصل : بعقولنه ابلا صحيحات . و(الجمع) في قوله : (دم ابن ... المثلم ، دم نوفل ... المحزم) . و (الايغال) بقوله : (مصتَّم) . وفيها (التقييد) بالعطف والنفي بقوله : (أو قتيل ، ولا شاركت ، ولا وهب ، ولا ابن ...) والتواسخ بقوله (أراهم .. أصبحوا) .

٤٧- وَمَنْ يَغْصِ أَطْرَافَ الزِّجَاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ العَوَالِي رُكِّبَتْ كُلَّ لَهْذَمِ[٥٣]

المعنى :

هذا البيت والتي تليه من الحكم والأمثال التي عنى بها الشاعر إسداء النصح والتذكير، ومعنى البيت ان الذي لا يرضى بالصلح ومثّله بالزجاج اسفل الرماح التي تعرض عند عدم القتال ، فانه سيلقى الأسنة الحادة في أعلى الرماح فيُجرح أو يموت .

وفيه (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (ومن يعص ... الزجاج) والجزاء بقوله : (فانه ... الخ) . و (المطابقة) بقوله : (يعص – يطيع ، أطراف – عوالي ، الزجاج – كل لهذم اي الأسنة) . وفي قوله : (كل لهذم) (كناية) عن الاسنة الحادة . و (التسهيم) بقوله : (ومن ... الزجاج ، فانه ... الخ) واستعار قوله : (ومن ... الخ البيت) لمن لا يقبل الامر الصغير فيضطر الى قبول الامر الكبير ، إذ شبّه هيئة الذي لا يقبل الصلح وتورط في الحرب وأوزارها ، بهيئة من أعرض عن أزجة الرماح فوقع بأسنتها الحادة فهلك ؛ واستعار المشبه به للمشبه على طريق (الاستعارة التمثيلية) ووجه الشبه منتزع من متعدد . وفيه (التذييل) بقوله : (رُكّبت كل لهذم) . وفيه (التقييد) بالشرط بقوله : (ومن يعص ... فانه) .

---

[٥٣] ورد في (ب) تسلسل (٥٦) وفي (جـ) تسلسل (٥٥) ، وفي (د) مطيع

الزجاج : جمع زج وهو أسفل الرمح ، العوالي : جمع عالية وهي أعلى الرمح ، اللّهذم : الحاد كالسيف والناب والسنان في أعلى الرمح .

والبيت (مثل) من الأمثال السائرة وهو من (الكلام الجامع) لشموله على الحكمة والنصيحة ، وفيه (الالتفات) من الخطاب الى الغيبة .

٤٨- وَمَنْ يُوْفِ لا يُذْمَمْ وَمَنْ يُفْضِ قَلْبُهُ إِلَى مُطْمَئِنِّ البِرِّ لا يَتَجَمْجَمِ[٥٤]

المعنى :

من يوف بعهده فله الثناء الجميل ، ومن يتوجّه قلبه الى برٍّ يطمئن الى خالصه وانه في موضعه فلا يتردد فيه .

وفي البيت (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (ومن يوف) والجزاء بقوله : (لا يذمم) ، وكذلك في قوله في الشرط (ومن يفض ...البرّ) والجزاء بقوله : (لا يتجمجم) . و (المطابقة) بقوله : (يفض اي يتقدم ، ويتجمجم اي يتردد) . وفيه (التقييد) بالعطف والشرط بقوله : (ومن يوف ، ومن يفض) وبالنفي بقوله : (لا يذمم ، لا يتجمجم) والبيت من (الكلام الجامع) لشموله على الحكمة والنصيحة . وفي قوله : (ومن يوف لا يذمم) (مثل) .

٤٩- وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ المَنَايَا يَنَلْنَه وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلَّمِ[٥٥]

---

[٥٤] ورد في (ب) تسلسل (٥٧) وفي (جـ) تسلسل (٥٢) ومن يهد .

يوف : اي بعهده ، يفض : يصير ، يتجمجم : يتردد .

[٥٥] ورد في (أ) ومن يبغ اطراف الرماح ينلنه – ولو رام ان يرقى ، وورد في (ب) تسلسل (٥٥) المنية يلقها ، وورد في (جـ) تسلسل (٥٣) وان يرق اسباب .

هاب : المهابة هي الإجلال والمخافة ، أسباب السماء : نواحيها ، والسبب كل شئ يتوصل به الى غيره ، رام : طلب .

المعنى :

ومن خاف الإقدام على المواطن التي تكون سببا للموت ، فان الموت يلاقيه فياخذه ؛ ولو تحرى نواحي السماء فسلكها ليهرب منه فانه سيقع فيه ويناله .

وفي البيت (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (ومن ... المنايا) والجزاء بقوله : (ينلنه) . و (الاكتفاء) بقوله : (ولو .... بسلم) ولا يتم المعنى الا بقوله : ينلنه ، وحذف من القافية لدلالة باقي لفظ البيت عليه . وفيه (المماثلة) بقوله : (ومن هاب أسباب ، ولو رام أسباب) . و (المطابقة) بقوله : (هاب ، رام) . و (الغلو) في قوله : (ولو .... بسلم) لأن ذلك من المستحيل وقوعه عقلا وعادة في زمن الشاعر . وفيه (التقييد) بالشرط بقوله : (ومن ...) . والبيت (مثل) من الامثال السائرة . وهو أيضا من (الكلام الجامع) لتضمنه الحكمة .

٥٠- وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخَلْ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يَسْتَغْنِ عَنْهُ وَيُذْمَمِ[٥١]

المعنى :

من أعطاه الله المال والجاه ولم يبرّ بهما أهله وقومه ، ذمّوه واستغنوا عنه فكانت عليه وبالا .

وفي البيت (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (ومن ... قومه) والجزاء بقوله : (يستغن ..الخ) . وقوله : (ومن ... ويذمم) من (الكلام الجامع) لشموله على الحكمة والوعظ . وهو (مثل) من الامثال السائرة . وفيه (التسهيم) في قوله : (ومن ... قومه) والدليل عليه قوله : (يستغن

---

[٥١] ورد في (ب) تسلسل (٥٣) وفي (جـ) تسلسل (٥١) .

عنه ويذمم). و (الايغال) في قوله : (ويذمم) . وفيه (التقييد) بالعطف بقوله : (ومن ، فيبخل ، ويذمم) وبالشرط بقوله : (ومن ...) .

٥١- وَمَنْ لايَزَلْ يَسْتَرْحِلُ النَّاسَ نَفْسَهُ ولا يُعْفِها يَوْمًا مِنَ الذَّمِّ يَنْدَمِ[٥٧]

المعنى :

ومن تعود أنْ يُحَمِّلَ الناس أعباء الحياة وتكاليفها عنه ويُثَقِّل عليهم ، ولا يمنع نفسه ويدع هذا الخلق الذميم ؛ فإنه سيندم من كثرة الذين يذمونه وينتقصونه . وإن مما ورد عن سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قوله : ((مَنْ يَتَكَفَّلُ لي ألاَ يسْأل النَّاسَ شيئًا وأتكفلُ لَهُ بالجنَّة ؟ فقال ثوبان : أنا)) فكان لا يسأل أحدا شيئا ؛ وربما سقط سوط ثوبان وهو على بعيره فما يسأل أحدا ان يناوله حتى ينزل إليه فيأخذه.[٥٨] وهذا الأدب النبوي في هذا الحديث ما يوافق أهل الذوق واللطف والعزة والإباء من الناس ويوافق كذلك مضمون هذا البيت . وربما كان ذلك مما بقي لهم من شريعة نبي الله ابراهيم عليه السلام .

وفي البيت (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (ومن ... نفسه) والجزاء بقوله : (يندم) . وفيه (التسهيم) بقوله (ومن ... يوما) والدليل عليه قوله : (من الذم يندم) . والبيت من (الكلام الجامع) لتضمنه

---

[٥٧] ورد في (ب) تسلسل (٦٠) يستحمل الناس – ولا يغنها يوما من الدهر يسأم ، ولم يرد في (جـ) وورد في (د) يوما من الذل .

يسترحل : استرحله اي سأله أن يرحل له ، لسان العرب : رحل ، يعفها : عفا يعفو اذا ترك حقا ، لسان: عفا .

[٥٨] التاج الجامع للاصول : ٢ / ٣٦ رواه أبو داوود بسند صالح .

الحكمة والنصيحة ، وفيه (التقييد) بالعطف بقوله : (ومن ، ولا يعفها) والشرط بقوله : (ومن) والتناسخ بقوله : (لا يزل) والنفي بقوله : (لا يزل ، ولا يعفها) .

٥٢- وَمَنْ يَغْتَرِبْ يَحْسِبْ عَدُوا صديقَهُ وَمَنْ لا يُكَرِّمْ نَفْسَهُ لا يُكَرَّمِ[٥٩]

المعنى :

كان ولاء العرب في الصحراء للقبيلة ، والقبائل عبارة عن كتل بشرية تتحرك مجتمعة وراء الماء والكلأ ، وكذلك القتال للغزو او الدفاع عن النفس ، فمن يترك قومه الذين هذه صفاتهم ويذهب مع قوم اخرين ، لا يدري ما جرى بينهم وبين قومه في سالف العهود يختلط عليه الامر ، فربما حسبهم أصدقاء واستنصحهم وفي واقع الأمر هم من الأعداء . ثم انتقل الى حكمة أخرى وهي : ان الذي يريد أن يكرمه الناس ويحترموه عليه أنْ يتحلّى بمكارم الأخلاق فيتصف بالمروءة والكرم والحلم والأناة والشجاعة والامانة والتواضع ....

وفي البيت (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (ومن يغترب) والجزاء بقوله : (يحسب عدوا صديقه) ، وكذلك بين الشرط بقوله : (ومن لا يكرّم نفسه) والجزاء بقوله : (لا يكرَّم) . و (التسهيم) بقوله : (ومن يغترب) دليل على قوله : (يحسب عدوا صديقه) ، وكذلك بقوله : (ومن لا يكرّم نفسه) دليل على قوله : (لا يكرَّم) . وفيه (المطابقة) بقوله : (عدوا ، صديقه) و (الجناس المحرَّف) بقوله : (يُكرِّم ، يكرَّم) بين من يكرم

---

[٥٩] ورد في (ب) تسلسل (٥٨) وفي (ج) تسلسل (٥٧) ومن لم يكرم ... لم يكرم ، وفي (د) لم يكرّ .

الناس أو يكرموه . وفيه (التقييد) بالشرط والعطف بقوله : (ومن يغترب ، ومن ..) والنفي بقوله : (لا يكرَم ، ولا يكرِّم) . و (الكلام الجامع) في كل من صدر البيت وعجزه لاحتوائها على الحكمة والنصح .

٥٣- وَمَنْ لا يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بسلاحِهِ يُهَدَّمْ وَمَنْ لا يَظْلِمِ النَّاسَ يُظْلَمِ[٦٠]

المعنى :

من لم يمنع حرماته ويكف شر الأشرار عنها ويردعهم بسلاحه ، فان عرضه يُنتهك وماله يُسلب ، ومَنْ لان للناس وكف بأسه عنهم ظلموه واستضاموه وركبوه ، ولا يقصد في قوله : (لا يظلِم) التجاوز على الغير بل الضعف الممقوت باللين والمسامحه المطلقة كما بّينا .

وفي البيت (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (ومن لا .... بسلاحه) والجزاء بقوله : (يُهدم) ، وكذلك بين الشرط بقوله : (ومن لا يظلم الناس) والجزاء بقوله : (يظلم) . و (الكلام الجامع) في كلٍ من صدر البيت وعجزه لاحتوائهما على الحكمة والنصح . و (التسهيم) في قوله : (ومن لا يذد ... بسلاحه) والدليل عليه قوله : (يهدَم) ، وكذلك في قوله : (ومن لا يظلم الناس) والدليل عليه قوله : (يُظلم) . و (الايغال) بقوله : (بسلاحه) زيادة في التأكيد لأن المعنى يتم بدونها . وفي قوله : (ومن لا يذد ... يهدَم) (مثل) شبه هيئة الرجل الذي لا يدفع الاشرار ويردعهم عن ماله وعياله بسلاحه فيُنتهكوا ، بالرجل الذي لا يدفع الإبل عن

---

(٦٠) ورد في (ب) تسلسل (٥٤) ورد في (جـ) تسلسل (٥٦) .
الذود : الكف والردع .

الحوض الذي جمع فيه الماء فتدهمه وتهدمه ، واستعار المشبه به للمشبه (استعارة تمثيلية تصريحية) منتزعة من متعدد ، وفي قوله : (ومن لا يظلم الناس يظلم) (مثل) وفيه (الكناية) عن الخنوع والاستسلام كما تقول النصارى من لطم خدك الأيسر فأدر له الأيمن وقدر تكرر هذا المعنى في البيت (٤٣) . وفيه (التقييد) بالعطف والشرط النفي بقوله (ومن لا يذد ، ومن لا يظلم) .

٥٤- وَمَنْ لَمْ يُصَانِعْ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ يُضَرَّسْ بِأَنْيَابٍ وَيُوْطَأْ بِمَنْسَمِ[٦١]

المعنى :

هذا البيت تعقيب على قوله : (ومن لا يظلِم الناس يُظلَم) في البيت قبله ، إذ دعا الى التوسط بين الشِّدة واللين ، اي فلا تكن صلبا فتكسر ولا ليّنا فتعصر ، فلا بد من مدارات الناس والترفق في معاملتهم والانسجام معهم في عموم متطلبات الحياة ، وإلاّ فانهم يقهروه ويغلبوه ويذلّوه وربما قتلوه .

وفي البيت (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (ومن ... كثيرة) والجزاء بقوله : (يُضرَّس .... بمنسم) . وفيه (التسهيم) في قوله : (ومن .... كثيرة) والدليل عليه قوله : (يضرّس ...بمنسم) . والبيت من (الكلام الجامع) لاحتوائه على الحكمة والنصيحة . وفيه (التذييل) بقوله : (ويوطأ بمنسم) جملة مؤكّدة لسابقتها وتشتمل على معناها . وفي قوله :

---

[٦١] ورد في (ب) تسلسل (٥١) لا يصانع ، (وورد في (جـ) تسلسل (٤٩)

يصانع : يترفق ويداري ، يضرس : يمضغ بضرس ، بمنسم : المنسمان الظفران في صدر خف البعير .

(يضرس ... بمنسم) (مثل) شبّه فيه هيئة الذي لم يخالق الناس في معاملته معهم بخُلق حسن فإنهم يذلوه ويقهروه وربما قتلوه – فلا بد لكل قوي من هو اقوى منه – شبه قهرهم له بهيئة الذي يُمضغ بين الأنياب ثم يوطأ بمنسم خف البعير فيهلك ، واستعار المشبه به للمشبه (استعارة تمثيلية تصريحية) منتزعة من متعدد . وفي البيت (التقييد) بالشرط بقوله : (ومن ...) والعطف : (ومن ، ويوطا) والنفي بقوله : (لم يصانع) .

٥٥- وَمَنْ يَجْعَلِ المَعْروفَ مِنْ دونِ عِرْضِهِ يَفِرْهُ وَمَنْ لا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمِ[٦٢]

المعنى :

من يبذل الإحسان والمعروف للناس وقاية لعرضه ، فانه يحتشم ويصان ويثنى عليه . ومن لا يتجنب ما يخدش مروءته كالبخل والدناءة والخسة والفحش فانه بذلك يتسبب بشتمة وذمه وانتقاص الناس منه .

وفي البيت (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (ومن يجعل ... عرضه) والجزاء بقوله : (يفره) ، وكذلك بين الشرط بقوله : (ومن لا يتق الشتم) والجزاء بقوله : (يُشتم) . وفيه (الكلام الجامع) في كلٍ من الشطر والعجز . وفيه (التسهيم) بقوله : (ومن يجعل ...عرضه) والدليل عليه قوله : (يفره) ، وكذلك بقوله : (ومن لا يتق الشتم) والدليل عليه قوله : (يشتم) . وفيه (التقييد) بالشرط والعطف بقوله : (ومن يجعل ، ومن لا) وبالنفي بقوله : (لا يتق) .

---

[٦٢] ورد في (ب) تسلسل (٥٢) ، وفي (جـ) تسلسل (٥٠) .

يفره : يتمه ولا ينقصه بشتم ، لسان : وفر ، عرضه : نفسه او حسده او هو موضع المدح والذم من الرجل .

٥٦- سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ثَمَانِينَ عاما لا أَبَا لكَ يَسْأَمِ[٦٣]

المعنى :

مللت ما تجئ به الحياة من المشاق والشدائد ، ومن عاش ثمانين عاما ملَّ الكِبَر وعواقبه من الضعف والأمراض والعجز وإعراض النساء وضعف خدماتهن .

وفي البيت (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (ومن يعش ... عاما) والجزاء بقوله : (يسْأم) . وفيه (التسهيم) بقوله : (ومن يعش ..عاما) ونتيجة ذلك قوله : (يسأم) . وفيه (رد العجز على الصدر) بقوله : (سئمت) والتقفية بقوله : (يسأم) . و (الاعتراض) بقوله : (لا أبالك) . وفيه (الالتفات) من الغيبة الى التكلم بقوله : (سئمت) وفيه (التقييد) بالشرط بقوله : (ومن ...) والنفي بقوله : (لا أبالك) .

٥٧- رأَيْتُ المَنَايَا خَبْطَ عشْوَاء منْ تُصِبْ تُمتْهُ وَمَنْ تُخْطِىء يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ[٦٤]

المعنى :

شبه المنايا وهي تصيب الناس بالناقة العشواء التي تسير ليلا وهي لا تبصر ، فالذي أصابته أهلكته ، ومن أخطأته سلم ، وهكذا المنايا لا تأتي

---

[٦٣] ورد في (ب) تسلسل (٤٨) وفي (جـ) تسلسل (٤٦) وورد في (ب ، جـ ، د) ثمانين حولا

سئمت : مللت ، التكاليف : المشاق والشدائد ، لا ابالك : كلمة جافية يراد بها هنا التنبيه والإعلام .

[٦٤] ورد في (ب) تسلسل (٤٩) وورد في (جـ) تسلسل (٤٨) ،

خبط – الضرب باليد ، عشواء : تانيث الاعشى ، والعشواء : الناقة التي لا تبصر ليلا ، يعمر : التعمير طول العمر

الى الهرم أو الى الذي أنهكه المرض والعجز فحسب ، وإنما قد تأتي الى الفتى قبل الشيخ العاجز ، أو الى القوي المعافى قبل المريض المتردي .

وفي البيت (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (من تصب) والجزاء بقوله : (تمته) وكذلك بين الشرط بقوله : (ومن تخطئ) والجزاء بقوله : (يعمر) . وفيه (التسهيم) بقوله : (ومن تصب) والدليل عليه قوله : (تمته) وكذلك بقوله : (ومن تخطئ) والدليل عليه قوله : (يعمر) . وفيه (حسن التعليل) بقوله : (رأيت ... عشواء) وعلل ذلك بقوله : (من تصب ... يعمر) . و (الايعال) في قوله : (فيهرم) . وفي قوله : (رايت المنايا خبط عشواء) (مثل) شبه فيه هيئة المنايا التي قد تصيب الفتى السليم فتلهكه ، وتخطئ الشيخ العليل فيطول عمره ويهرم ، بهيئة الناقة التي تسير ليلا ولا تبصر ما أمامها وهي الناقة العشواء ، فمن أصابته أهلكته ومن أخطاته بقي سالما ، واستعار المشبه به للمشبه (استعارة تمثيلية تصريحية) منتزعة من متعدد ، وفيه (التقييد) بالشرط بقوله : (ومن تصب ، ومن تخطئ) والعطف بقوله : (ومن تخطئ ، فيهرم) . وفيه (الكلام الجامع) لتضمنه النصيحة في استحضار الموت على الدوام وملازمة فعل المعروف .

٥٨- وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ وَلَوْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ[٦٥]

---

[٦٥] ورد في (ب) تسلسل (٥٩) وفي (جـ) تسلسل (٥٨) وورد في (جـ ، د) وان خالها ...

الخليقة : الطبيعة او الخُلقُ ، خالها : ظنها .

المعنى :

ان الانسان اذا تخلّق بالأخلاق الذميمة وتطبَّع بها وخشي أنْ يطّلع عليها الناس فأخفاها وظن انهم لا يعلمونها ، هّيأ الله لها الأسباب فأظهرها وعلمها للناس .

وفي البيت (المزاوجة) بين الشرط بقوله : (ومهما ... الناس) والجزاء بقوله (تعلم) وفي البيت (المساواة) [٦٦] لعدم امكان الاستغناء عن اية مفردة فيه لاستيفاء المعنى . وفيه : (المطابقة) في قوله : (تخفى ، تعلم) . وفيه (الكلام الجامع) لدعوته الى نبذ الرياء وملازمة الإخلاص ، لان عمل السوء مهما أخفاه عامله ظهر الى الناس وعلموه . و (التسهيم) بقوله : (ومهما ... الناس) ونتيجة ذلك قوله : (تعلم) . وفيه (التقييد) بالشرط والعطف بقوله : (ومهما ... ، ولو ...) والنواسخ بقوله : (تكن ، خالها) ، وفيه (الالتفات) من التكلم الى الغيبة في قوله : (ومهما تكن ...) .

٥٩- وأَعْلَمُ مَا فِي الْيَوْمِ وَالأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِي[٦٧]

المعنى :

يدعي علم يومه وما مضى من الأيام ، ويُظهر عجزه عن معرفة ما سيقع في الأيام القادمة ، وفي ذلك معاكسة لما نهج عليه الكهّان من ادعاء علم ما سيكون في مستقبل الايام بالاستعانة بالجن ، وأحسن ختام قصيدته

---

[٦٦] خزانة الادب الحموي : ٢ / ٩٢٦ .

[٦٧] ورد في (ب) تسلسل (٥٠) واعلم علم اليوم .. وفي (جـ) تسلسل (٤٧) .

بهذا البيت وذلك بان حكمه ونصائحه ومعارفه التي أسداها الى مجتمعه هي حقائق بعيدة عن الكهانة والكهان .

وفيه (التقسيم) بقوله : (في اليوم والامس ... ما في غد) وفيه (الحشو) بقوله (قبله) لامكان الاستغناء عنه بقوله والامس . وفي البيت (الالتفات) من الغيبة الى التكلم بقوله : (واعلم ...) . و (المطابقة) بقوله : (أمس ، غد) . و (التنكيت) في قوله : (ولكنني .. عمي) وهذا معلوم بالضرورة لكنه ذكره استنكافا من الكهان أو تبرئة لنفسه من خرافاتهم وادعاءاتهم . وفيه (التقييد) بالعطف بقوله : (وأعلم ، والامس ، ولكنني) وفيه (الانسجام) قال ابن حجة الحموي في خزانته : ((المراد من الإنسجام أنْ يأتي – لخلوه من العقادة – كانسجام الماء في انحداره ، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة الفاظه أنْ يسيل رقة ، ولعمري إن طيور القلب ما برحت على أفنان هذا النوع واقعة ، وبمحاسنه الغضة بين الاوراق ساجعة ، وأهل الطريق الغرامية ، هم بدور مطالعه وسكان مرابعه ، فانهم ما أثقلوا كاهل سهولته بنوع من أنواع البديع ، اللهم إلاّ أنْ يأتي عفوا من غير قصد ، وعلى هذا اجمع علماء البديع في حدّ هذا النوع ... ومنه ما جاء في لطف الإنسجام قول زهير بن أبي سلمى في معلقته :

٤٩- ومن هاب اسباب المنايا ينلنه ولو رام أسباب السماء بسلم

٥٠- ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على قومه يستغن عنه ويذمم

٥٢- ومن يغترب يحسب عدوا صديقه ومن لا يكرم نفسه لا يكرم

٥٣- ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لايظلم الناس يظلم

٥٤- ومن لا يصانع في امور كثيرة يضرس بانياب ويوطأ بمنسم

٥٥- ومن يجعل المعروف من دون عرضه يفره ومن لا يتق الشتم يشتم

٥٦- سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبالك يسأم

وأحسن ختامها في الانسجام بقوله :

٥٩- واعلم ما في اليوم والامس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي

انتهى كلام ابن حجة رحمه الله[٦٨] .

وأرى أن (حسن الختام) لا يكون في البيت الأخير فحسب ، بل يبدأ بالبيت (٤٧) وإلى ختام القصيدة ، وذلك لانه استفتح القصيدة بذكر أم أوفى والدمن والديار والآرام والأطلاء والاثافي والمعرس التي تعرف بها على ديار الحبيبة وبدأ بالسلام عليها بعد معرفتها وكأن أهلها فيها الى البيت السادس ، وتخلص في البيت السابع من الوقوف على الأطلال الى وصف الرحلة ومشاقها ووصف موكب الحبيبة ومظاهر الأبهة والترف والجلال والجمال عليها ، واناقة الحبيبة ووسامتها التي تسر الناظرين ؛ الى البيت الخامس عشر . ثم تخلص بطريقة الاقتضاب من وصف الرحلة الى الدخول بالغرض من القصيدة وهو الصلح بين قبيلتي عبس وذبيان اثر حرب داحس والغبراء ، التي تحمَّل فيها ديات القتلى للطرفين الكريمان الجليلان الحارث بن عوف وهرم بن سنان وقيل خارجة بن سنان وهما من حي غيظ بن مرة من غطفان ، فوصف دماء القبيلتين ومدح السيدين اللذين قاما بالصلح ، وأورد الامثال والنصائح لحثهم على التمسك بالصلح ؛ ووصف الجمال والنوق التي تساق للطرفين بالمئات وفاء من أهل الصلاح الذين لم يهريقوا دم احد .

---

[٦٨] ينظر : خزانة الادب للحموي : ٤٠٠-٤٠٤ .

وأرسل الى الأحلاف المتصارعة يوصيهم بعدم الغدر ونقض الصلح وخوّفهم عقاب الله في الدنيا والاخرة يوم الحساب للغادرين ، وصور لهم الحرب وأوزارها ، وما تأتي به من المصائب التي يبقى أثرها مدة طويلة ، وذكرلهم واقعة الحصين بن ضمضم مثالا للغدر وسرعة مبادرة الأخيار لاصلاح ما فسد ، وذكر توالي الاف الابل عقائل للصلح وانتهى ذلك بالبيت السادس والاربعين ، وبدأ بالبيت السابع والاربعين الى نهاية القصيدة بالحكم والنصائح التي تدل على انه استقاها مما بقي مع الاحناف في الجاهلية من دين نبي الله ابراهيم (عليه السلام) لاسيما وإنه خوّف الغادرين في الابيات السابقة من العقاب في الاخرة بيوم الحساب ، وهذه المناسبة كانت فرصة مواتية للشاعر لأن يوصل حكمه ونصائحه الى هؤلاء الاحلاف الذين شيمتهم الغزو والقتل والثأر لعلهم يرعوون ويستقيمون .

وما أحسنه من ختام حكيم لقومه وأجاد في اختتام حسن ختامه في البيت الاخير إذ أعلمهم انه ليس من الكهنة ولا من العرّافين الذين يدعون معرفة الغيب وما سيقع في قابل الايام وفي هذا اخلاص النية من الشاعر في تقديم نصائحه الى متلقيها ، وتجرده من أنانيته ليجعلها اكثر قبولا واسترسالا في قلوبهم .

ولحسن الختام أهمية بالغة عند علماء الادب إذ إنه آخر ما يقرع الأسماع ويبقى في الاذهان قال ابن رشيق (ت ٤٥٦ هـ) : ((وأما الانتهاء فهو قاعدة القصيدة واخر ما يبقى منها في الاسماع وسبيله أن يكون محكما ، لا تمكن الزيادة عليه ولا يأتي بعده أحسن منه ، وإذا كان أول

الشعر مفتاحا له وجب ان يكون الاخر قفلا عليه)) [٦٩] وأما حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) فيقول : ((فأما ما يجب في المقاطع على ذلك الاعتبار وهي أواخر القصائد ، فان يُتحرى أن يكون ما وقع فيها من الكلام كأحسن ما اندرج في حشو القصيدة [٧٠] .... وينبغي ان يكون اللفظ فيه مستعذبا والتاليف جزلا متناسبا فان النفس عند منقطع الكلام تكون متفرغة لتفقد ما وقع فيه غير مشتغلة باستئناف شئ آخر))[٧١] ووصفه الخطيب القزويني (ت ٧٣٩ هـ) بقوله : ((إنه اخر ما يعيه السمع ويرتسم في النفس ، فان كان مختارا كما وصفنا جبر ما عساه وقع فيما قبله من التقصير ، وان كان بخلاف ذلك ربما انسى محاسن ما قبل)) [٧٢] وقال ابن حجة (ت ٨٣٧ هـ) : ((لا بد ان يحسن فيه غاية الاحسان ، فانه اخر ما يبقى في الأسماع ، وربما حفظ من دون سائر الكلام)) [٧٣] .

بنية القصيدة بشكل عام

- أرى أن زهيرا وضع خطته قبل بناء القصيدة في ثلاثة أطر هي :

١- كتل المعاني التي تتألف من :

أ- المقدمة الطللية .

ب- الرحلة وأوصافها وما جرى فيها .

---

[٦٩] العمدة : ١ / ٢٣٩ .

[٧٠] منهاج البلغاء : ٢٨٥ .

[٧١] منهاج البلغاء : ٣٠٦ .

[٧٢] ينظر الايضاح : ٢١١-١٢٤ .

[٧٣] خزانة الأدب : ٢ / ٤٩٣ .

جـ- الغرض من القصيدة .

د- حسن الختام وما حواه من حكم وعِبر ونصائح .

٢- اختيار الألفاظ الجزلة السهلة الفخمة الواضحة وتعمُّد بعض أوجه البلاغة .

٣- استخدام أدوات الربط بين كتل المعاني والألفاظ ؛ كحسن التخلص والاستطراد والالتفات ، فضلا عن الروابط بالألفاظ بين أبيات القصيدة لتكون كتلة واحدة .

ولغرض بيان تطبيق هذه الخطة وانسجام مضمونها مع الألفاظ المناسبة لها في بناء هذه القصيدة نبين ذلك بما يأتي :

أ- المقدمة الطللية : وتبدأ بمطلع القصيدة بقوله : (أمن أم أوفى .. ثم ذكر ديارها الدراج فالمتثلم) .

- وربط البيت (٢) بالأول بقوله : (ودارٌ لها بالرقمتين هما الدراج فالمتثلم في البيت الأول .

- وربط البيتين (٣،٤) بالثاني بقوله : (بها العين ... ، وقفت بها ...) الضمير في بها يعود الى قوله : (ودار لها ...)

- وربط البيتين (٥،٦) بالثاني بوصفه الدار بقوله : (أثافي ...) والإشارة اليها بقوله : (فلما عرفت الدار ...) ثم التحية الى الدار بعد اطمئنان النفس بين أطلاله ، وتمني السلامة له بقوله : واسلم . وبذلك تتجلى روابط الألفاظ بالألفاظ والمعاني بالمعاني في سبك متلاحك متماسك بلطف ويسر وتلك لوحة الإفتتاح .

ب- ثم انتقل في البيت (٧) الى الرحلة فتخلص به من لوحة الافتتاح ودخل في مضمون الرحلة بقوله : (تبصَّر خليلي) بكل سلاسة ولطف ويجزء من شطر البيت وهو قمة مايصبو إليه البلاغيون في التخلص ، والتفت فيه من التكلم الى الخطاب وتلك روابط هذا الإنتقال .

- ربط الأبيات من (٨-١٥) بالبيت السابع مفصّلا فيها وصف الرحلة ، إذ إنه خاطب من معه في البيت(٧) بإجالة النظر في أطراف موقع الماء أو أعلى منه الى الظعائن ؛ لعل الحبيبة تكون فيها . وفي البيت(٨) جعل افتراضه للظعائن واقع حال وأخذ يصف مسيرها بعد أن التفت من الخطاب الى الغيبة بقوله : (جعلن ...) واستمر بوصف الظعن والرحلة في باقي الأبيات بقوله : (وعالين أنماطا ... ، ظهرن من السوبان ... ، ووركن في السوبان ... ، كأن فتات ... ، وقفن ... ، بكرن بكورا ... ، فلما وردن ... ، وفيهن ملهى ... .) والضمير في قوله : (جعلن ، عالين ، ظهرن ، وركن ، وقفن ، بكرن ، وردن ، فيهن) عائد الى (الظعائن) في البيت (٧) وتلك من مظاهر ربط الألفاظ والمعاني في الأبيات فضلا عمّا ذكرنا .

جـ- ثم انتقل في البيت (١٦) الى الغرض الرئيس المحور الموضوعي للقصيدة بقولة : (سعى ساعيا ...) وتخلص بطريقة (الإقتضاب) عند الإنتقال من وصف الرحلة من غير تمهيد ، بل بهزّة للأذهان لكي يجلب الإنتباه الى ما سيقوله ، وفيه ذكر حدث الصلح بين المتقاتلين .

- ربط الأبيات من (١٧-٢٥) مع البيت (١٦) بمخاطبة السيدين الجليلين اللذين قاما بالصلح بقوله : (فأقسمت ... ، يمينا لنعم السيدان ... ،

تداركتما ... ، وقد قلتما ... ، فأصبحتما ... ، عظيمين ... ، وأصبح يحدى فيكم ... ، تعفى الكلوم ... ، ينجمها ... .) أنظر إلى الروابط في مخاطبة السيدين ووصف إجراءات الصلح .

- استطرد في البيت (٢٦) بمخاطبة الأحلاف المتنازعة بقوله : (ألا أبلغ الأحلام عني رسالة ...) والتفت من الغيبة الى الخطاب.
- ربط الأبيات من (٢٧-٣٣) بالبيت (٢٦) متمما مضمون الرسالة بقوله : (فلا تكتمن الله ... ، يؤخر فيوضع ... ، وما الحرب ... ، متى تبعثوها ... ، فتعرككم ... ، فتنتج لكم ... ، فتغلل لكم ...) وروابط الألفاظ والمعاني ببعضها واضح في الأبيات .
- عاد من الاستطراد في البيت (٣٤) الى مضمون مسيرة السيدين الجليلين وإكمال ما ذكره في البيت (١٦) بأن سعيهما للصلح وبذل الأموال للديات كان (لحيّ حلال ...)
- ربط الابيات من (٣٥-٣٧) بالبيت (٣٤) ووصف حال المتخاصمين بقوله : (كرام ... ، رعوا ، ظمأهم ... ، فقضّوا منايا ...) .
- استطرد في البيت (٣٨) بغدر الحصين بن ضمضم للثأر لأخيه بقوله : (لعمري لنعم الحيّ حلّ عليهمُ ...) والضمير في (عليهم) يعود الى (الحيَّين في البيت ٣٤) وتلك من الروابط اللفظية .
- ربط الأبيات من (٣٩-٤٣) بالبيت (٣٨) وذكر ماله علاقة بهذا الغدر بقوله : (وكان طوى كشحا ... ، وقال سأقضي ... ، فشدّ ولم ينظر ... ، لدى أسد ... ، جريء متى يُظلم ...) .

- عاد من الاستطراد في البيت (٤٤) الى باقي مسيرة الصلح والسيدين ؛ والتفت من الغيبة الى الخطب بقولة : (ولا شاركت ... ، فكلا أراهم أصبحوا يعقلونه صحيحات ألف ...) وبذلك أكمل ما أراد من مضمون غرض القصيدة الرئيس .

د- أحسن ختام قصيدته في الأبيات من (٤٧-٥٩) بذكر الحِكَم والنَّصائح والأمثال ليكون وازعا لأطراف النزاع وغيرهم ، ودافعا للتمسك بالاتفاق ، وأن تكون أموال السيدين ذات جدوى في إقامة الصلح والسلم والعيش بأمان .

أما أوجه البلاغة التي تعمّدها الشاعر من خلال النظم حسبما أرى فهي ربّما : (حسن المطلع ، التصريع ، حسن التخلص ، الاستطراد ، الإلتفات ، حسن الختام ، التشبيهات ، المجاز ، الإستعارات ، الكنايات ، التقديم والتأخير ، الإعتراض ، الإقتضاب ، الإقتباس ، التجريد) خمسة عشر نوعا من مجموع الأنواع التي استخرجناها من القصيدة عند تحليلها وهي خمسة وستون نوعا بما مجموعه سبعة عشر وثلاثمائة وجه في تسعة وخمسين بيتا . وهو بذلك يكون أكبر صنعة من ولده كعب وهما أكبر صنعة من أبي تمام ، مع ما نلمسه عنده من غلبة الطبع والسهولة وحسن المأخذ في عموم معلقته ، وبُعْده عن الكلفة في التصنيع ؛ ومجافاته حزونة اللفظ والتّوعر أو الإغراب كما يفعله أبو تمام .

وأرى أن الفرق بين ما هو للشاعر وبين ما بقي من أوجه البلاغة يكون لعظمة اللغة العربية وسعتها ، وفعّاليتها وتنوع تراكيبها ، وقدرتها

التعبيرية ، وعمق أبعاد دلالاتها . إذ إن لها القدرة على مطاوعة النخب والفحول والجهابذة ومجاراتهم على مقدار طاقاتهم ، وبُعْدِ أعماق دلالاتهم ، وفيها المزيد على أعلى طاقاتهم ، وبذلك أرى أن تنسب دقائق بلاغة النص الى البليغ من جهة وإلى عظمة هذه اللغة من جهة أخرى ؛ وليس ذلك متاحاً في كل لغة ، وهذا ما استخلصته من هذه البحوث ، وهذا ما أراده الله لها ، لأنها لغة إعجاز كتابه العزيز القرآن الكريم .

من المعايير المنهجية المتوقع تداولها في العصر الجاهلي :

بعد تحليل القصيدة ودراسة الصنعة عند زهير ، أرى أن نقدم نتفاً من المواقف النقدية في العصر الجاهلي وبعض الدلائل على المعايير المتوقعة لعلوم اللغة والأدب فيه كما يأتي :

- أورد الرواة بعض مواقف النقد الأدبي الجاهلي عند روايتهم للخطب والأشعار ، منها حكومة أم جندب بين شعر زوجها أمرئ القيس وشعر علقمة الفحل . وقصة النابغة الذبياني مع حسان بن ثابت والخنساء . وما ذكره أبو هلال العسكري أن أكثم بن صيفي كان إذا كاتب ملوك الجاهلية يقول لكتّابه : ((إفصِلوا بين كلّ معنى منقضٍ ، وصلوا إذا كان الكلام معجونا بعضه ببعض)) ... وان الحارث الغساني كان يقول لكاتبه المرقّش : ((إذا نزع بك الكلام الى الإبتداء بمعنىً غير ما أنت فيه ، ففصّل بينه وبين تبعيته من الألفاظ فإنك إنْ مذقت ألفاظك بغير ما يحسن أن تُمذق به ، نفرت القلوب عن وعيها ، ومَلّتها الأسماع ، واستثقلتها الرواة))[٧٤] .

---

[٧٤] ينظر الصناعتين : ٤٦٠ . المذق : الخلط .

-- ومنها تحاكم علقمة بن عبدة التميمي والزبرقان بن بدر والمخبل السعدي وعمرو بن الأهتم ، الى ربيعة بن حذار الأسدي ، الذي أصدر حكمه على شعر الزبرقان بأنه كلحم أسخن لا هو أنضج فأكل ولا تُرك نيّا فينتفع به ، وأما شعر علقمة فكمزادة قد أحكم خرزها فليس يقطر منها شيء ، وشعر المخبل قصّر عن شعرهم وارتفع عن شعر غيرهم ، وشعر علقمة كبرود حبّر يتلألأ فيها البصر . وفي هذه الأحكام تظهر الموازنة واضحة)) [٧٥] .

وكان الأصمعي يقول : ((زهير والنابغة من عبيد الشعر ، ومن أصحابهما في التنقيح وفي التثقيف والتحكيك طفيل الغنوي وكان يسمى محبّرا لحسن شعره ، ومنهم الحطيئة والنمرنولب ، هكذا ذكر ابن رشيق)) [٧٦] .

وما جرى للنابغة الذي أخذ عليه أهل يثرب إقواءه في الشعر ، وأسمعوه إياه على لسان مغنية تنبيها له ..)) [٧٧] وما يُعزى الى طرفة بن العبد أنه عاب على المتلمس نعته البعير بنعوت النياق . وما أخذه الناس على المهلهل بن ربيعة من أنه كان يبالغ في القول ويتكثر ... [٧٨]

وكانت قواعد الشعر تدرّس وتُعلّم أصوله ، من ذلك أن زهير بن ابي سلمى درس على بشامة بن الغدير وأوس بن حجر وروى له ، ثم صار أستاذ ولديه كعب وبجير وكذلك لراويته الحطيئة . وهنالك الكثير من هذا ، ومن

---

[٧٥] ينظر الموشح :٥٧ .

[٧٦] العمدة : ١/١٢٠ .

[٧٧] ينظر الموشح : ٣٨ .

[٧٨] ينظر الموشح : ٧٤ .

أدلة هذه الدروس الإلتزام بالبحور والقوافي وكثير من أوجه البلاغة ، وكذلك نظام القصيدة التي تتجزأ الى المقدمة الطللية ثم الرحلة ومعاناتها ومخاطرها والصيد أثنائها ثم الدخول في الغرض الرئيس منها ثم حسن ختامها ، مع مراعاة حسن التخلص بين تلك الأجزاء ، والوحدة الموضوعية للقصيدة التي تؤدي الى الفلاح والنجاح بالغاية منها من غير تشتيت لأفكار المتلقي . فضلا عن إختيار المعاني والألفاظ التي تتناسب والغرض من القصيدة بين الفخامة والجزالة أو الرقة والسهولة ، والعناية بالأسلوب الذي يزيدها ماء ورونقا وجاذبية .

- ومن الأدلة على رواج قواعد الثقافة الأدبية ما يجري في سوق عكاظ من المساجلات والمناظرات بين الأدباء والشعراء في العصر الجاهلي ، وفي المربد وكناسة الكوفة في العصر الإسلامي.ولا يتأتى ذلك إلاّ على وفق قواعد وضوابط معلومة تكون معيارا ودليلا للتفاضل فيما يعرض فيها .

- وفي ذلك يقول ابن سلاّم : ((وللشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات ، منها ما تثقفه العين ، ومنها ما تثقفه الأذن ، ومنها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يثقفه اللسان ..)) [٧٩] ويؤكد هذا المعنى قول أبي عمرو بن العلاء : ((العلماء بالشعر أعزُّ من الكبريت الأحمر)) [٨٠] .

- وتذهب بنا الدكتورة هند الى أعماق العصر الجاهلي فتقول : ((ولسنا ننكر أن توفر النصوص في العصر الإسلامي هو الذي أدى بأكثر

---

[٧٩] طبقات فحول الشعراء : ١/٥ .

[٨٠] إعجاز القرآن للباقلاني : ٣١٠

نقادنا المحدثين الى نفي العلمية والمنهجية عن عرب الجاهلية ... وإننا نفترض وجود العلمية والمنهجية في العصر الجاهلي ، ونفترض ضياع نصوصها ؛ ويسندنا في هذا الإفتراض قول أبي عمرو بن العلاء : ((وما انتهى اليكم مما قالت العرب إلاّ أقلّه ، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير))[٨١].

وذكر الباقلاني ان العرب قد اختلفوا في الشعر كيف اتفق لهم ، فقد قيل إنه اتفاق في الأصل غير مقصود اليه على ما يعرض من أصناف النظام في تضاعيف الكلام ، ثم لما استحسنوه واستطابوه ورأوا أنه تألفه الأسماع وتقبله النفوس ، تتبعوه من بعد وتعلموه ، ونقل عن ثعلب:ان العرب تُعلّم أولادها قول الشعر بوضع غير معقول يوضع على بعض أوزان الشعر كأنه على وزن : (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) ويسمّون ذلك الوضع الميتر ،واشتقاقه من المتر ،وهو الجذب أو القطع ..))[٨٢] .

قال ابن فارس : ((وقد زعم ناس أن علوما كانت في القرون الأوائل والزمن المتقادم ، وأنها درسَت وجُدّدت منذ زمان قريب ، وترجمت وأسلحت منقولة من لغة الى لغة ، وليس ما قالوا ببعيد ، وإن كانت تلك العلوم – بحمد الله وحسن توفيقه – مرفوضة عندنا .))[٨٣] . وإن تعقيب ابن فارس هذا على هذه المعلومة يؤكد لنا نفرة الرواة وعلماء صدر الإسلام من علوم

---

[٨١] ينظر النظرية النقدية عند العرب : ٣٣ وطبقات فحول الشعراء : ٢٥/١ .

[٨٢] إعجاز القرآن للباقلاني : ٥٤-٥٥ .

[٨٣] الصاحبي : ٢٢ .

العصر الجاهلي حرصا منهم على الالتزام بعلوم الدين وعقائده وانصرامهم مما علق في الجاهلية من الوثنية وما أحيط بها من علوم.

- وقال ابن فارس : ((وحكي أن أبا حيّة النميري سئل أن يُنشِد قصيدة على الكاف فقال :

كفى بالنّأي عن أسماء كافِ ... وليس لسقمها إذ طال شافِ

وما العرب في قديم الزمان إلا كنحن اليوم فما كلٌّ يعرف الكتابة والخطّ والقراءة ، وأبوحيّة كان أمس ، وقد كان قبله بالزمن الأطول من يعرف الكتابة ويخط ويقرأ .

- وقال : وكان من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كاتبون ، منهم أمير المؤمنين عليٌّ صلوات الله تعالى عليه وعثمان وزيد وغيرهم ، وروي عن هانيء قوله : كنت عند عثمان رضي الله تعالى عنه ، وهم يعرضون المصاحف ، فأرسلني بكتف شاة الى أبيّ بن كعب فيها ((لم يتسنّ)) و ((فأمهل الكافرين)) و ((لا تبديل للخلق)) ، قال : فدعا بالدواة فمحا إحدى اللامين وكتب ((لخلق الله)) ، ومحا ((فأمهل)) وكتب ((فمهّل)) وكتب ((لم يتسنه)) ألحق فيها الهاء . أفيكون جهل أبي حيّة حجّةً على هؤلاء الأئمة ؟))[٨٤]

- وأضاف : والذي نقوله في الحروف هو قولنا في الإعراب والعروض . والدليل على صحة هذا وأن القوم قد تداولوا الإعراب ؛ إنا نستقري قصيدة الحطيئة التي أولها :

شاقتك أصعان للّيلى ... دون ناظرةٍ بواكرْ

---

[٨٤] ينظر الصاحبي : ٢٠-٢١ .

فنجد قوافيها كلّها على الترنم والإعراب تجيء مرفوعة ، ولولا علم الحضيئة بذلك لأشبه أن يختلف إعرابها ، لأن تساويها في حركة واحدة إتفاقا من غير قصد لا يكاد يكون .

أما العروض فمن الدليل على أنه كان متعارفا معلوما ، اتفاق أهل العلم على أن المشركين لما سمعوا القرآن قالوا إنه شعر ، فقال الوليد بن المغيرة منكرا عليهم : ((لقد عرضت ما يفرؤه محمد على أقراء الشعر ، هزجه ورجزه وكذا وكذا ، فلم أره يشبه شيئا من ذلك)) .

أفيقول الوليد هذا وهو لا يعرف بحور الشعر ؟ .

ويضيف : ومن الدليل على عرفان القدماء – من الصحابة وغيرهم – بالعربية ، كتابتهم المصحف على الذي يعلله النحويّون في ذوات الواو والياء والهمز والمدّ والقصر ، فكتبوا ذوات الياء بالياء ، وذوات الواو بالألف ولم يصوروا الهمزة إذا كان قبلها ساكنا في مثل : (الخبء ، والدفء ، والملء) فصار ذلك كله حجة ، وحتى كره من العلماء ترك اتباع المصحف من كره)) [٨٥] .

وقال : ((أجمع علماؤنا بكلام العرب ، والرواة لأشعارهم ، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحالّهم ، أن قريشا أفصح العرب ألْسنة وأصفاهم لغة)) [٨٦]

---

[٨٥] ينظر الصاحبي : ٢١-٢٣ ، وقوله أقراء الشعر : طرق الشعر وأنواعه وبحوره ، واحدها قَرء بالفتح .

[٨٦] ينظر الصاحبي : ٤١ .

وروى حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : ((أنا أفصح العرب بيْدَ أني من قريش وإني نشأت في بني سعد بن بكر)) [٨٧]

وقال : ((والشعر ديوان العرب وبه حُفظت الانساب وعُرفت المآثر ، ومنه تُعلّمت اللغة . وهو حجة فيما أُشكل من غريب كتاب الله جلّ ثناؤه ، وغريب حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) [٨٨] وتلك من مآثر العرب ودليل دقتهم في علومهم .

وذكر حماد الراوية : إن العرب كانت تعرض شعرها على قريش فما قبلوه منها كان مقبولا ، وما ردّوه منه كان مردودا . وحينما قدم عليهم علقمة بن عبدة وأنشدهم قصيدته التي يقول فيها :

هل ما علمت وما أستودعتَ مكتوم ... أم حبلُها أن نأتك اليوم مصرومُ

قالوا هذه سمط الدهر ، ثم عاد اليهم بعد عام فأنشدهم :

طحا بك قلبٌ في الحسانِ طَروبُ ... بَعيدَ شبابٍ عصر حان مشيبُ

فقالوا : هاتان سمطا الدهر . [٨٩] وهذا يدل على وجود معايير للموازنة بين الأشعار ، والتفاضل بين الشعراء .

ومن مظاهر اهتمام العرب بالقول الحسن قول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لبعض ولدِ هرم بن سنان : أنشدني بعض مدائح زهير في أبيك ، فأنشده فقال : إنه كان يحسن فيكم القول ، قال : ونحن

---

[٨٧] الصاحبي : ٤٧ ، وروي (بيد أني) ، وبيد بمعنى غير .

[٨٨] الصاحبي : ٤٨١ .

[٨٩] ينظر الأغاني : ٢١/٢٢٥-٢٢٦ طحا : سمط .

والله كنّا نحسن له العطية ، قال له الخليفة : لقد ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم)) [٩٠]

– وفي دقّة القول روى الثعالبي أن رجلا مرَّ بأبي بكر الصديق (رضي الله عنه) ومعه ثوب ، فقال له : أتبيعه ؟ قال له الرجل لا رحمك الله ، فقال له (رضي الله عنه) : ((قد قوّمتْ ألسنتكم لو تستقيمون ، ألا قلتَ : لا ورحمكَ الله)) [٩١] وتلك مسألة معروفة عند أهل اللغة .

– وفي نقد الأُسلوب وتقييمه قال ابن عباس (رضي الله عنهما) : ((خرجت مع عمر (رضي الله عنه) في أول غزاة غزاها ، فقال لي ذات ليلة : يا ابن عباس أنشدني لشاعر الشعراء . قلت : ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : ابن أبي سلمى . قلت : وبم صار كذلك ؟ قال : لأنه لا يتبع حوشي الكلام ، ولا يعاظل من المنطق ، ولا يقول ألاّ ما يعرف ، ولا يمتدح الرجل إلاّ بما يكون فيه)) [٩٢] .

– تلك نتف مما تداولته المصادر تؤكد ما كان عند العرب في الجاهلية من الثقافة والمعارف والعلوم لها منهجية ومعايير متعارفة لديهم يقوّمون بها خطبهم وشعرهم وكلامهم ، وإن دليل الأدلة على ذلك الذي نضيفه الى هذا الباب تحدي الله رب العالمين لهم بأن يأتوا بسورة من كتابه العزيز بقوله عز وجل : ((وإنْ كُنْتم في رَيْبٍ مما نزّلنا على عَبْدنا فأْتوا بسورةٍ من مثْلِهِ وادْعوا شُهداءكم من دونِ الله إن كنتُم صادقين)) [البقرة : ٢٣] . وسورة الكوثر

---

[٩٠] ينظر الأغاني : ٢١٣/١٠ .

[٩١] ينظر ثمار القلوب : ٦١١ .

[٩٢] ينظر الاغاني : ٢٩٩/١٠ - ٣٠٠ .

عشر كلمات وقفت العرب أمامها عاجزة مبهوتة مستسلمة مستبدلة ذلك بالقتال والقتل الذي هو أقسى ما يعانيه الأنسان . ذلك لأنهم أهل فصاحة وبلاغة ومعرفة ، يدركون عظمة الآيات وإعجاز سبكها وعظمة نظمها ؛ فلم يَلجوا هذا الميدان بل تهيبوه لعلمهم أنهم عاجزون أن يأتوا بما يماثل هذه الكلمات . ولم يَرِدْ أنهم قبلوا التحدي وخاضوا ميدان مبارات القرآن ومجاراته ، ومن مظاهر عجزهم قول الوليد بن المغيرة لأبي جهل : ((فوالله ما فيكم رجلٌ أعلم بالأشعار منّي ولا أعلمُ برجزه ولا بقصيده منّي ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ، ووالله إنَّ لقوله الذي يقولُ حلاوةً وإنّ عليه لطلاوة ؛ وإنّهُ لمثمرٌ أعلاه مُغدقٌ أسفلُهُ ، وإنه ليعلو وما يُعلى عليه وإنه لَيحْطِمُ ما تحتهُ)) [٩٣] وفي ذلك دليل على علمهم بدقائق اللغة وبيانها وعروضها وتذوقهم لأساليبها وانفعالهم بما حسن ورقا من نظمها ، فضلا عن أن الحق جل جلاله لا يتحدى بعلمه الجهلاء .

ومن الجدير بالذكر ان المصحف الذي بين أيدينا كتبه عدد من الصحابة علي وفق قواعد وثوابت رصينة هم كتّاب الوحي (رضي الله عنهم) في عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) وفي عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) وجُمع بين دفتين في عهد عثمان (رضي الله عنه) ، ولا يستطيع ذلك كما هو معلوم إلاّ علماء جهابذة علموا قواعد اللغة وبناء حروف كلماتها وأسس نظم جملها ، وأن تلك العلوم متوارثة من بيئة العصر الجاهلي التي كانت عدّتَهم في كتابة القرآن الكريم قمة التعبير العربي ، ثم

---

[٩٣] الخصائص الكبرى : ١/١١٣ .

انتشرت وتطورت في أمة إقرأ حتى تعددت وتُفننت في القرن الثاني الهجري كما هو معلوم .

– وما تقدم يدل على منهجية اللغة العربية وعلميتها وأنها على قواعد راسخة ثابتة متعارفة في العصر الجاهلي ؛ تداولها العلماء بها في ذلك العصر من خطباء وشعراء وكتاب فأحسنوا الحذق بها معرفة وكتابةً كما مَر ذكره في كتّاب ملوك العصر الجاهلي نموذجا لهم ؛ وما عرف من كتّاب الوحي والقرّاء الذين أشارت اليهم السير المعروفة .

بعد الاشارة الى ما هو متوقع وجوده من معايير ومنهجية في علوم العربية في العصر الجاهلي – والجاهلية هي : زمن الفترة قبل الإسلام ؛ وفي الحديث : ((إنك امرؤ فيك جاهلية)) وهي الحال التي كانت عليها العرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه ورسوله وشرائع الدين ، والمفاخرة بالأنساب والكِبْر والتَّجَبُّر وغير ذلك . كذا ورد في اللسان[٩٤] ، ولم يتطرق الى الجهل بالثقافة والمعرفة ... – نعود الى ما ورد عن ابن رشيق في المطبوع والمصنوع قوله : ((ومن الشعر مطبوع ومصنوع ؛ فالمطبوع هو الأصل الذي وضع أولا وعليه المدار ، والمصنوع وإن وقع عليه هذا الإسم فليس متكلفا تكلف أشعار المولّدين ، ... حتى صنع زهير الحوليات على وجه التنقيح والتثقيف ... والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل فتترك لفظة للفظة أو معنى لمعنى – كما يفعل المحدثون – ولكن نظرها في فصاحة الكلام وجزالته وبسط المعنى

---

[٩٤] لسان العرب : جهل .

وابـرازه ؛ واتقـان بنيـة الشـعر وإحكـام عقـد القـوافي ، وتلاحـم الكـلام بعضـه ببعض .)) [٩٥]

وميّز بين المطبوع والمصنوع بقوله : ((ولسنا ندفع أن البيت إذا وقع مطبوعا في غاية الجودة ثم وقع في معناه بيت مصنوع في نهاية الحسن لم تؤثر فيه الكلفة ولا ظهر عليه التعمل كان المصنوع أفضلها ، إلاّ أنه إذا توالى ذلك وكثر لم يجز البتة أن يكون طبعا واتفاقا إذ ليس ذلك في طباع البشر ... وقيل إذا كان الشاعر مصنعا بان جيده من سائر شعره كأبي تمام فصار محصورا معروفا بأعيانه ...)) [٩٦]

– وفي ضوء ما تقدم من آراء ابن رشيق التي يوافقه فيها كثير من علماء البلاغة والأدب ، وفي ضوء تحليلنا معلقة زهير بن أبي سلمى ، وما ذكرنا من دلائل على منهجية ومعايير اللغة العربية لدى النخبة المثقفة في العصر الجاهلي ، تتجلى قدرة اللغة وتراكيبها ودلالاتها ، وكذلك دور زهير في بناء معلقته نظما ومعنىً ، حسبما أراه من خلال نتائج تحليلي هذه المعلقة الجاهلية .

---

[٩٥] العمدة : ١/١١٦ .

[٩٦] ينظر العمدة : ١/١١٨ .

ملحق جرد الأوجه البلاغية :

ت	اسم الوجه البلاغي	العدد	رقم البيت
	المعاني	-	
١	الوصل	٣	١١/٩/٣
٢	الفصل	١	٠/١٠
٣	المساواة	١	٠/٥٨
٤	التخصيص	٣	٠/١١/٣/١
٥	التقديم والتاخير	١٠	٠/٤٦/٤٤/٣٤/٢٥/٢٣/١٨/١٧/١٥/١٤/٤
٦	الحذف	٥	٠/٤٦/٣٨/٨/٤/١
٧	القصر	١	٠/٢٩
٨	الاعتراض	٣	٠/٥٦/١٦/١٢
٩	التقييد	٤٧	جميع ابيات القصيدة عدا /٣٦/٣٥/٢٨/٢٧/٢٢/١٩/١٨/١٦/١٤/٧/٤ ٠/٣٧
	البيان	-	
١٠	التشبيه المرسل	٢	٠/٣٢/١٢
١١	التشبيه البليغ	١	٠/٣١
١٢	التشبيه المركب	٢	٠/٥/٢
١٣	التشبيه التمثيلي	١	٠/١٣
١٤	الاستعارة التصريحية	٢	٠/٤٢/١٨
١٥	الاستعارة التمثيلية	١٤	/٤٤/٤١/٣٩/٣٧/٣٦/٣١/٢٤/٢٢/١٩/١٦ ٠/٥٧/٥٤/٥٣/٤٧

١٦	الاستعارة المجردة	١	٤٢
١٧	الاستعادة المرشحه	١	٤٢
١٨	الاستعادة المعادلة	١	٤٢
١٩	المجاز المرسل	٣	٠/٣٦/٣٤/٣
٢٠	الكناية	١٨	/٢٩/٢٧/٢٥/٢٤/١٤/١٣/١١/٩/٢|٣/٢/١ ٠/٥٣/٢|٤٤/٣٩/٣٦/٣٢
٢١	التعريض	١	٠/٨
٢٢	المثل السائر	٩	٠/٥٧/٥٤/٢|٥٣/٥٠/٤٩/٤٨/٤١/٢٢
	البديع		
٢٣	التصريع	١	٠/١
٢٤	التجريد	٣	٠/٢٦/٦/١
٢٥	الجمع	٨	٠/٢٠/١٩/١٨/١٧/١٥/٨/٣/١
٢٦	المطابقة	١٧	/٣٩/٣٦/٣٥/٣٣/٣٢/٣١/٢٧/١١/١٠/٨/٤ ٠/٥٩/٥٨/٥٢/٤٩/٤٨/٤٧
٢٧	التفريع	٣	٠/٤٠/٣٦/٤
٢٨	الاستتباع	٢	٠/١٠/٦
٢٩	التكرار	٦	٠/٣٠/٢٥/٢٣/٩/٨/٦
٣٠	الالتفات	١٢	٥٩/٥٨/٥٦/٤٧/٤٤/٣٤/٢٦/٢٤/١٨/٨/٧/٦ /٠
٣١	تجاهل العارف	١	٠/٧
٣٢	التخلص	١	٠/٧
٣٣	مراعاة النظير	٩	٠/٤٠/٣٥/٢٩/٢٢/٢١/١٥/١٣/١٠/٩
٣٤	الايغال	٩	٠/٥٧/٥٣/٥٠/٤٦/٣٧/٢٣/١٥/١٤/١٢
٣٥	الملحق بالجناس	٤	٠/٢٦/١٦/١٣/١٢

٣٦	الجناس المطرف	٢	٠/٣١/٣٠
٣٧	الجناس المحرف	١	٠/٥٢
٣٨	الجناس المضارع	١	٠/٢٨
٣٩	التسهيم	١٨	/٢|٥٣/٢|٥٢/٥١/٥٠/٤٧/٣٣/٣٢/٣٠/١٤ ٥٨/٢|٥٧/٥٦/٢|٥٥/٥٤
٤٠	التدبيج	١	١٤
٤١	الاقتضاب	١	١٦
٤٢	الافتنان	٣	٠/٣٦/١٩/١٦
٤٣	التلميح	٥	٠/٣٨/٣٧/٣٢/١٩/١٧
٤٤	المزاوجة	٢١	٥٢/٥١/٥٠/٤٩/٢|٤٨/٤٧/٣٤/٢٧/٢٢/٢٠| ٠/٥٨/٢|٥٧/ ٥٦/٢|٥٥/٥٤/٢|٥٣/٢
٤٥	السجع	١	٠/٢٨
٤٦	الاقتباس	٢	٠/٣٢/٢٨
٤٧	حسن التعليل	٤	٠/٥٧/٤٠/٢٧/٢٢
٤٨	المبالغة	٤	٠/٤١/٣١/٢١/١٢
٤٩	المشاكلة	١	٠/٣١
٥٠	المماثلة	٢	٠/٤٩/٣١
٥١	التقسيم	٢	٠/٥٩/٢٨
٥٢	الجمع مع التقسيم	٣	٠/٣٩/٣٥/٣٣
٥٣	القول بالموجب	١	٠/٣٣
٥٤	التذييل	٤	٠/٥٤/٤٧/٣٦/٢١
٥٥	المواردة	١	٠/٤٢
٥٦	الكلام الجامع	١٠	٠/٥٨/٥٧/٥٥/٥٤/٥٢/٥١/٥٠/٤٩/٤٨/٤٧
٥٧	الغلو	١	٠/٤٩

٥٨	اللف والنشر	١	٠/١٣
٥٩	التنكيت	١	٠/٥٩
٦٠	الاكتفاء	٢	٠/٤٩/٢٠
٦١	رد العجز على الصدر	٥	٠/٥٦/٤٣/٣٠/٢٢/٢٠
٦٢	الاستطراد	٢	٠/٣٨/٢٦
٦٣	المذهب الكلامي	١	٠/٢٧
٦٤	الانسجام	٨	٠/٥٩/٥٦/٥٥/٥٤/٥٣/٥٢/٥٠/٤٩
٦٥	حسن الختام	٢	٠/٥٩-٤٧
	المجموع الكلي	٣١٧	

المصـــادر :

١- الأغاني ، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت٣٥٦هـ) ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٥٧م .

٢- الايضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٧٣٩ هـ) دار الكتب العلمية لبنان ، ٢٠٠٢ م ، وطبعة اخرى مكتبة النهضة – بغداد .

٣- أشعار الشعراء الستة الجاهليين ، يوسف بن سليمان الاندلسي المعروف بالأعلم الشنتمري (ت٤٧٦ هـ) – دار الفكر – / ١٩٨٢ م .

٤- إعجاز القرآن ، أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ) تحقيق أحمد صقر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٤ وتحقيق ابوبكر عبد الرزاق ، مكتبة مصر ١٩٩٤م .

٥- التاج الجامع للاصول ، الشيخ منصور علي ناصف الحسيني، دار الفكر– بيروت– ١٩٧٥ م.

٦- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت٤٢٩هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، مطبعة المدني ، القاهرة . ودار نهضة مصر ، ١٩٦٥ .

٧- جهود العلماء في تحديد مصطلح الاستعارة، الدكتور أحمد حمد محسن الجبوري – ٢٠٠٩ م.

٨- خزانة الادب وغاية الارب ، لابن حجة تقي الدين أبي بكر الحموي (ت ٨٣٧ هـ) تحقيق الدكتور محمد ناجي عمر دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – ٢٠٠٨ هـ .

٩- الخصائص الكبرى ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، دار الكتب العلمية ، لبنان .
١٠- ديوان اوس بن حجر ، تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت - لبنان -- ١٩٦٠ م .
١١- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، لأبي بكر محمد بن القاسم الانباري (ت ٣٢٨ هـ) تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف - القاهرة - ١٩٨٠ م .
١٢- شرح المعلقات السبع ، القاضي أبو عبدالله الحسين بن أحمد الزوزني (ت ٤٨٦ هـ) دار المعرفة - بيروت -- ٢٠١٠ م.
١٣- شرح القصائد العشر ، للخطيب أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) دار الجيل - بيروت .
١٤- الصاحبي ، لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ) ، تحقيق الشيخ أحمد صقر ، مؤسسة المختار القاهرة ، ٢٠٠٥م .
١٥- طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلاّم (ت٢٣١هـ) شرح محمود محمد شاكر ، دار المعارف ، ١٩٥٢م وطبعة القاهرة ، ١٩٧٤م .
١٦ - العروض تهذيبه واعادة تدوينه ، الشيخ جلال الدين الحنفي ، مطبعة العاني - بغداد - ١٩٧٨ م .
١٧- العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده ، الحسن بن رشيق القيرواني (٤٥٦ هـ) تحقيق محمد محيي الدين - دار الجيل ، بيروت ١٩٧٢ ، وطبعة ثانية بتحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي ، المكتبة العصرية - بيروت ٢٠٠٧ م .

١٨- كتاب الصناعتين ، أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكري (ت٣٩٥هـ) تحقيق علي محمد البجاوي ، ومحمد أبو الفضل ابراهيم ، البابي الحلبي ١٩٧١ .
١٩- لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت٧١١هـ) دار الحديث ، القاهرة ٢٠٠٣م .
٢٠- منهاج البلغاء وسراج الادباء ، لأبي الحسن حازم القرطاجني ، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة ، دار الكتب الشرقية ، تونس ١٩٦٦ م .
٢١- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، ابو عبيدالله محمد بن عمران المرزباني (ت٣٨٤هـ) ، جمعية نشر الكتب العربية ١٣٤٣هـ .
٢٢- النظرية النقدية عند العرب ، الدكتورة هند حسين طه ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨١.